أمين سمكوغ

مدخل الى تاريخ الشراكسة

Bibliotheca Alexandrina
0121539
90

تاريخ الشراكسة

أمين سمكوغ

تاريخ الشراكسة

دار دمشق

حقوق الطبع محفوظة
١٩٨٤

م / ر / ١٠١٦٧
ت - ١٩٨٤/٣/٢٠

دار دمشق
دمشق - شارع بور سعيد - هاتف ٢١١٠٤٨ - ٢١١٠٢٢
بيروت - الحمراء - شارع المقدسي - بناية يونس - ص.ب ١٤٥٢٩٩

المرحوم امين سمكوغ
١٩٠٣ - ١٩٥٢

كلمة لابد منها

عندما احتلت الجحافل الصهيونية الجولان اثر نكسة حزيران ١٩٦٧ ، وقامت بنهب كل ما يتعلق بالتاريخ والثقافة والتراث من آثار وكنوز وأوابد ، كان من جملة ما فقد مخطوط تاريخي يتألف من حوالي (٤٠٠) صفحة بقلم المرحوم أمين سمكوغ عنوانه : «تاريخ الشراكسة» . وقد بدأ المؤلف العمل في هذا المخطوط عندما كان طالباً في جامعة السوربون يدرس السياسة والاقتصاد في العشرينات من هذا القرن ، وجمع المصادر عن تاريخ هذا الشعب بمختلف اللغات . وعندما وافته المنية عام ١٩٥١ ، كان قد انتهى من تأليف المخطوط ولكن الفرصة لم تتح له لطبعه .

اكتسب هذا المخطوط أهمية إضافية بعد استيلاء الصهاينة عليه ، بسبب ندرة المؤلفات العربية التي تروي تاريخ هذا الشعب الذي تعرّض للقتل الجماعي والابادة والتهجير تحت وطأة الاطماع الاستعمارية لروسيا القيصرية والدولة العثمانية ، وتحت أنظار الدول الغربية الاستعمارية التي كانت تسمي نفسها آنذاك بـ «العالم المتمدن» . كما يحظى المخطوط بأهمية دائمة ومتجددة نظراً للصلات الأخوية الوثيقة والحضارية بين الشعب الشركسي والأمة العربية والعالم الاسلامي عبر تاريخ طويل مشترك .

نزولاً عند رغبة المجاهدين من أبناء الجولان الذين شاركوا في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ كقوات اقتحام وكوماندوس في الجيش العربي السوري البطل أو متطوعين في جيش الانقاذ ، وتخليداً للشهداء منهم الذين قدموا أرواحهم رخيصة دفاعاً عن الأرض المقدسة ، أرض فلسطين العربية ، وهم يقاومون الاستعمار الاستيطاني الصهيوني ، كان المؤلف قد قدّم للكتاب بمقدمة نشرها على شكل كراس صغير بعنوان : «الشراكسة في حروبهم ضد القياصرة» .

وذكر في هذا الكراس مقتطفات من أقوال المؤرخين الذين أرخوا لتلك الفترة من الحرب التوسعية الاستعمارية التي شنها قياصرة روسيا على شعوب القفقاس ، والتي استهدفت احتلاله واستيطانه ، وكانت في حقيقتها عمليات قتل وابادة جماعية لشعب صغير من قبل امبراطورية كبيرة ، وطرد وتهجير من بقي على قيد الحياة . وقد تحدث هؤلاء المؤرخون عن استبسال الشراكسة ودفاعهم البطولي عن تراب وطنهم مدة قرن ونيف .

بدأ البحث عن مصير المخطوط المذكور عقب تحرير مدينة القنيطرة في حرب تشرين المجيدة عام ١٩٧٣ والتي قادها الرفيق المناضل حافظ الأسد وضحّى فيها قطرنا بآلاف الشهداء ، وذلك في أنقاض بيت المؤرخ في مدينة القنيطرة المحررة التي كان العدو الصهيوني قد نهبها ثم هدمها بالجرافات والمتفجرات . ولازلت أذكر الخزانة التي كانت تضم المخطوط مع المصادر والصور والخرائط المحفورة على النحاس تمهيداً لطبع الكتاب . وأذكر أن الرسوم كانت كلها بريشة الفنان الكبير المعروف المرحوم «صبحي شعيب» من مدينة حمص .

لم يكن للبحث جدوى لأنه كان جلياً أن العدو الصهيوني الذي قام بسرقة أثاث البيوت والأبواب والنوافذ والسقوف القرميدية ، وحتى صنابير الماء وأتفه الأثاث لن يترك كتاباً مخطوطاً بمثل هذه الأهمية مع رسومه ومصوراته الجاهزة للطباعة .

بعد فترة من الزمن أسمع بوجود قسم صغير من المخطوط لدى الدكتور عادل عبد السلام استاذ الجغرافية المعروف في جامعة دمشق ، الذي حصل عليه قبل عدوان الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ للاطلاع عليه ، وقام مشكوراً بالمحافظة عليه ، تقديراً منه لأهميته وقيمته التاريخية والعلمية ، وهو بعنوان «الجزء الأول - معلومات عامة» .

قرأت هذا الجزء من المخطوط مرات عديدة فوجدته مؤلفاً من نحو أربعين صفحة ، ويبحث في التاريخ القديم للشعب الشركسي وعلاقاته بمختلف الحضارات القديمة وخصوصاً حضارات الشرق القديم ، ولكنه ينقطع فجأة في بداية

بحث اللغة . . تزددت طويلاً قبل التفكير بطباعته ، لأنه صفحات قليلة جداً من كتاب وعمل كبيرين ، ولكني حزمت أمري وقررت نشره مع الكراس الصغير المنوه عنه أعلاه والمنشور سابقاً ، نظراً للاعتبارات التالية :

١ ـ ان فقدان القسم الأكبر والأهم من المخطوط ، يشكل وصمة عار جديدة على جبين الصهيونية الملطخة بأعمال السلب والنهب والتشريد التي مارستها في أرض فلسطين العربية ، وفي كل الأراضي العربية المحتلة ، وفي مدينة القنيطرة بالذات . . والجحافل الصهيونية المذعورة وهي تقتلع الأشجار وتدمر البساتين وتهدم البيوت في هذه الأيام ، في الجنوب اللبناني وفي الضفة الغربية تحت أنظار «العالم المتمدن كله» لاخلائها من سكانها العرب بحجة «قمع الارهاب» ، تعيد إلى الأذهان ممارسات الجيوش القيصرية التي اتبعت نفس هذه الأساليب حرفياً ضد شعوب شمال القفقاس قبل قرن ونيف لاجبار سكانها على اخلاء قراهم ومغادرة أرضهم . وإذا كانت أساليب أعداء الانسان واحدة في كل زمان ومكان ، فإن إرادة الشعوب واحدة هي أيضاً .

٢ ـ ان كتابة التاريخ ليست عملاً فردياً ، ولا ملكاً لشخص من الأشخاص . ومهما كان الجزء الذي عثرنا عليه صغيراً ، فإن نشره يحقق رغبة المؤلف التي لم تمهله المنية على تحقيقها من جهة ، ومن جهة لأخرى يشكل لبنة ودافعاً لاتمام العمل الذي يقع على عاتق المهتمين بالحقيقة والتاريخ .

٣ ـ لم يذكر المؤلف نصاً أو حادثة دون اسنادها إلى مرجعها المعتمد ، والقيام فوق ذلك باخضاعها لمعايير العلمية والحقيقة التاريخية ، بعيداً عن العاطفة أو الرأي الشخصي .

٤ ـ إن المعلومات القليلة الواردة فيه تهم العالم العربي والاسلامي بنفس القدر الذي تهم فيه الشراكسة ، فهي تلقي الضوء على تاريخ السومريين بناة الحضارة الأولى في الشرق القديم ، وعلى تاريخ الكاشيين والميتانيين ، وخاصة الحيثيين أصحاب الحضارة التي دامت قروناً عديدة في الأناضول وبلاد الشام . كما تلقي الضوء على العلاقات الموغلة في القدم والمتداخلة بين شعوب القفقاس وشعوب

وحضارات الشرق الأوسط القديمة . وعلى زيف ادعاءات الأتراك بانتمائهم الى الحيثيين والسومريين بالرغم من أن تاريخ مجيئهم الى هذه المنطقة من العالم معروف وحديث بالمقارنة مع قدم هذه الحضارات .

٥ ـ إن هذا القسم من المخطوط يشكل الرد المفحم والأكيد على كل الكتاب الاستعماريين والمغرضين من مختلف الجنسيات الذين جنّدوا أنفسهم لخدمة الفكر الاستعماري ، فاتهموا الصفات الحربية النبيلة والشجاعة الفائقة لدى الشراكسة واستبسالهم في الدفاع عن الوطن بالقبلية والهمجية والوحشية ، لتبرير فشل جيوش القيصر الجرارة ، واعمال الابادة والقتل الجماعي التي مارستها طوال قرن وربع من الزمان ، دون أن ننسى بعض الكتاب الروس المنصفين الذين تحدثوا عن الشراكسة ورقي نظامهم الاجتماعي وتمتعهم بالديمقراطية التي لم يعرفها آنذاك الحكم الديكتاتوري والاقطاعي ، وحكم الأقنان الظالم الذي كان يسود روسيا القيصرية . وأشاروا إلى أن الحقد الكبير الذي حمله القياصرة ونظامهم المتسبد فترجموه جيوشاً جرارة باتجاه سهول وذرى القفقاس ، إنما كان ناجماً عن هذا الفارق الحضاري ، وعن تخوف القياصرة من انتقال عدوى الحرية التي قدسها الشركس ، والديمقراطية التي تعلقوا بها تاريخياً إلى الشعب الروسي والشعوب التي كانت ترزح تحت نير النظام القيصري الاستعماري . وأكدوا على أن غلبة الروس لم تكن قط بسبب تفوق حضاري ، إنما كانت بسبب التفوق العددي الذي لا يقارن . وهناك كتابات وشواهد لا حصر لها على ما نقول .

يقول المؤرخ الانجليزي «جيمس بل» :

ـ إن الروس بامكانهم أن يرسلوا ولمدة سنوات أخرى ألوفاً من إلبولونيين الذين يريدون التخلص منهم ، أومن مواطنيهم العبيد الأقنان الذين لا يعتبرونهم أكثر من آلة للحرب .

وقد داوم القياصرة على ارسال عبيدهم خمسة وعشرين سنة لأخرى بدلاً من الست سنوات المقدرة لاخضاع القفقاس في حين داوم الشراكسة على تضحياتهم الغالية طوال هذه المدة .

٦ ـ ندرة المؤلفات باللغة العربية التي تبحث في هذا الموضوع ، مما يسد ثغرة في حركة التأليف التاريخي العربي .

٧ ـ التحديد الدقيق للمواقع والأماكن التي كانت تقيم فيها القبائل الشركسية قبل الاستيلاء على بلادهم .

٨ ـ المعلومات التاريخية التي وردت في هذا الجزء من المخطوط ، كتبت في الثلاثينات أو الأربعينات من هذا القرن بامكانات محدودة ، وفي ظروف انعدمت فيها امكانيات التبادل الثقافي مع الاتحاد السوفييتي ومع الشراكسة الباقين في القفقاس . ولاشك أن المكتشفات والدراسات الأثرية المحدثة وخاصة في أرض القفقاس قد أغنت الموضوع وألقت اضواء جديدة عليه .

وأخيراً ، فإننا نحن أبناء المؤلف وذووه ، نناشد الشخصيات والمؤسسات العلمية والثقافية العربية والعالمية ، وخاصة منظمة اليونسكو أن تساعدنا على استعادة المخطوط مع رسومه التي فقدت عند احتلال ونهب مدينة القنيطرة على يد الصهيونية بغية طبعه ونشره وشكراً .

برزج سمكوغ
دمشق في ٦/ ٦/ ١٩٨٤

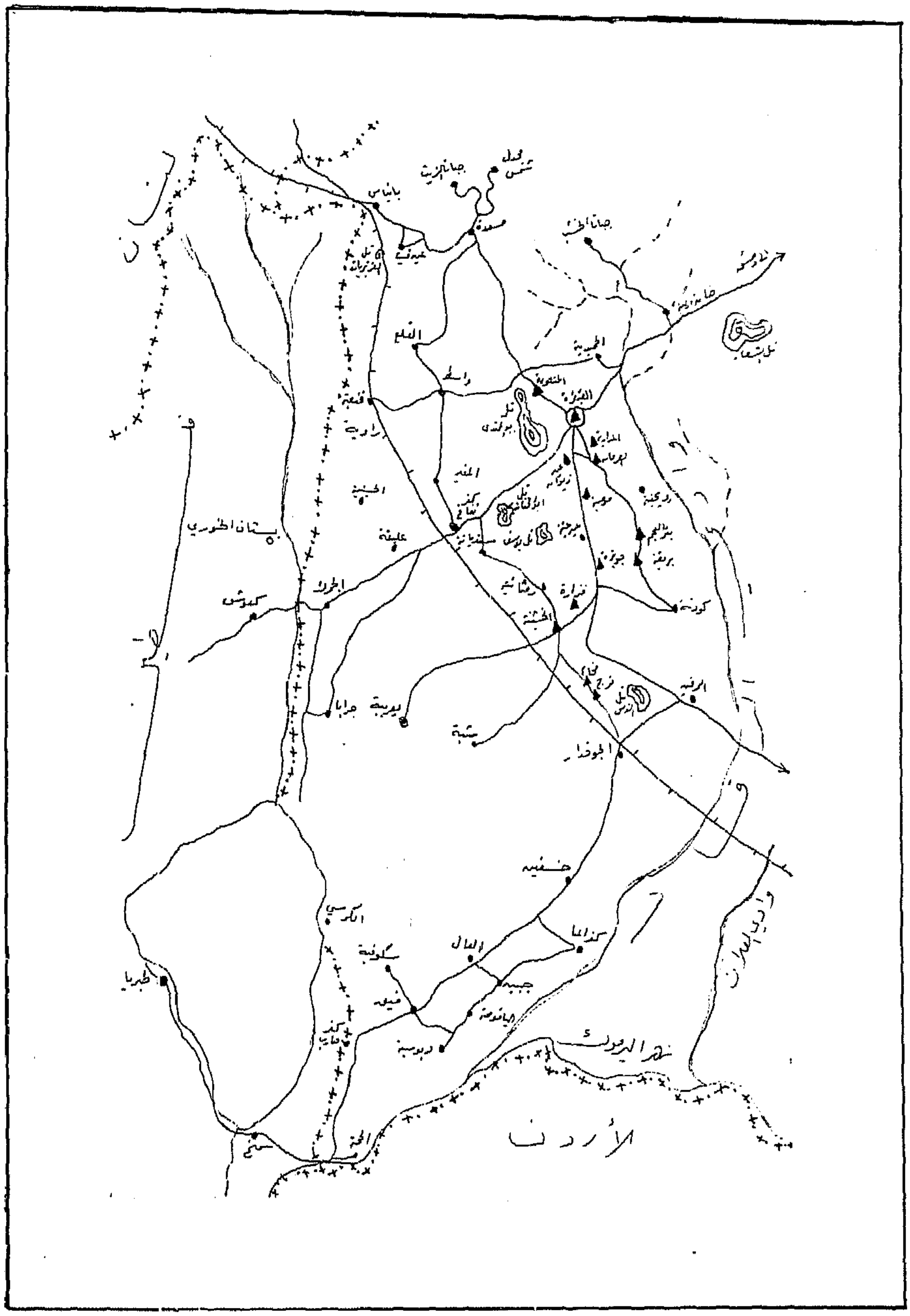
بانياس
بستان الخوري
طبريا
نهر اليرموك
الأردن

مقدمة المؤلف

نجد في أنحاء من «سوريا وفلسطين وشرقي الأردن» وفي معظم البلاد التركية قرى عديدة يعمل سكانها في الزراعة وتربية الماشية ويختلفون عن جيرانهم بملامحهم وبعض الأجزاء من لباسهم التقليدي وكذلك بطراز أبنيتهم وترتيب منازلهم ويتكلمون اللغة الشركسية وهم أبناء الشراكسة الذين هاجروا من بلادهم قفقاسيا بعد الاستيلاء عليها من قبل الروس في سنة (١٨٦٤) وسكنوا بلاد الشام وآسيا الصغرى مباشرة وكان قسم منهم قد هاجر إلى البلقان أولاً ثم تركوها في عام ١٨٧٨ ولحقوا باخوانهم المستوطنين في هذه البلاد .

اضافة الى ما سبق لا تخلو المدن العربية وخاصة المصرية وكذلك معظم المدن التركية من عائلات شركسية لعب كثير من أفرادها أدواراً هامة في التاريخ الحديث لنهضات هذه البلاد وذلك على المسرح السياسي والعسكري والأدبي والفني .. وينقسم هؤلاء الى قسمين قسم ينحدر من عائلات ترجع إلى عهود الدولة الشركسية في مصر والشام وقسم ثان هم أحفاد المهاجرين الجدد اثر الاحتلال الروسي السابق عام (١٨٦٤) .

واذا دققنا النظر في التاريخ القديم فاننا نجد أن علاقة الشركس بهذه البلاد لا تقف عند الهجرة الشركسية الأخيرة في القرن التاسع عشر ولا عند حكم الشراكسة في مصر خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر بل تتعدى ذلك لتصل الى العصور التاريخية الأولى زمن الساميين الأوائل في بلاد الكلدان والى المصريين القدماء في مصر كما سيتضح من الفصول الأولى لهذا الكتاب . ومع ذلك بقيت هذه المعلومات التاريخية مهملة وغير معروفة ولا نجد كتابات عربية تلقي الضوء على تاريخ الشعب الشركسي واستيطانه في هذه المنطقة وعلاقاته بمختلف الأقوام التي سكنتها .

ذلك السبب دفعنا لتأليف هذا الكتاب مساهمة منا في ملء الفراغ . وسوف يجد فيه المؤ رخون والباحثون اضافة الى الشراكسة ما يساعدهم على تكوين فكرة عامة شاملة عن تاريخهم .

٣٠ نيسان ١٩٥٠
المؤلف

«ايضاح»

من المعلوم أن التاريخ له مصادر عديدة يستقي منها معلوماته وهذه المصادر هي : ـ المنقولات والنصوص ـ علم الآثار ـ علم الألسنة ـ علم أجناس البشر . وان المنقولات والكتابات هي الأساس في معرفة التاريخ القديم ويؤ يدها ويعاونها علم الآثار وعلم الألسنة وعلم أجناس البشر . ذلك لأن الآثار تبقى مغلقة عند سكوت الكتابات واللغات، كما وأن اللغات وحدها لا تكفي لمعرفة أصحاب الآثار بدون معاونة من علم أجناس البشر .

لذلك فإن كتابة التاريخ القديم ولاسيما فيما يتعلق بمنشأ الأقوام بالاستناد إلى اللغة وحدها بدون أي اعتبار لمصادر التاريخ الأخرى تؤدي إلى نظريات مخالفة لوقائع التاريخ ولا تكون لها القيمة العلمية المطلوبة كما حصل أخيراً لبعض المؤلفات عن الشراكسة وعن الأرمن وغيرهم في بلاد الشرق .

ان اللغات كالهيئات البشرية تتغير وتتبدل وتمتزج بغيرها . وليس من السهل أن تقاس لغة قديمة كانت تستعمل قبل آلاف السنين مع لغة حاضرة تتكلم الآن . خاصة إذا كانت هذه اللغة مثل اللغة الشركسية لم تثبت قواعدها ولم تبن كلماتها حتى الآن ، ولأن الدراسة اللغوية في التاريخ قد تنحصر غالباً بكلمات مفردة وقليلة أو جمل قصيرة غير متكاملة وكثيراً ما تكون محرفة . وعدا عن ذلك فان الدراسة اللغوية لها طريقة علمية يجب معرفتها ومراعاتها .

وقد استندنا في تأليف هذا الكتاب على الكتابات القديمة والحديثة دون أن نهمل النتائج الأثرية واللغوية والجنسية المكتشفة من قبل علماء متخصصين ودون أن ندخل في نظريات عقيمة . ولكن هذا العمل كان شاقاً لأنه لا توجد كتابة قديمة أو حديثة جامعة عن تاريخ الشركس ، وهم لم يكتبوا تاريخهم . فالكتابات التي

نجدها عند كتاب أجانب هي كتابات مختصرة ومبهمة وتتعلق بزمن من الأزمان أو حادثة من الحوادث أو ناحية من نواحي حياتهم أو حكاية قصيرة لسائح زار بلادهم أو لكاتب نقلها من الجوار . . الخ .

ولم تتكامل هذه الكتابات الأجنبية وتشمل جميع نواحي الحياة الشركسية إلاّ في القرن التاسع عشر وأثناء الحرب الشركسية الروسية التي وجهت أنظار العالم إلى هذا الشعب الصغير الذي قاوم أكبر امبراطورية في أوربا مدة قرن كامل ونيف .

وقد جمعت أكثر المعلومات لهذا الكتاب أثناء إقامتي للدراسة في باريز ما بين عامي (١٩٢١ ـ ١٩٢٩) ولكن أسبابا قاهرة منعتني من اتمامها ونشرها الى هذا الوقت .

١ ـ تقرأ الكلمات والعبارات الشركسية وفقاً لمصطلحات الحروف الهجائية بالأحرف اللاتينية المدرجة في القسم الخامس «اللغة الشركسية» .
٢ ـ كتبت الكلمات التفسيرية والاصطلاحات العلمية باللغة الافرنسية .
٣ ـ دونت المستندات «المؤلفات الأجنبية» باللغة التي كتبت بها الافرنسية أو الانكليزية أو الألمانية . . الخ) .

قفقاسيا والعالم القديم

القفقاسيون والأوربيون القدماء

يقول الدكتور «جورج مونتاندون» الاستاذ في معهد الأجناس البشرية في باريز : ان المتتبع لعلم الأجناس يشعر باحترام عميق نحو القفقاسيين الأصليين الذين يتكتلون حول الأسماء الثلاثة (لزك - شركس - كرج) ، بيهان ص ٧) [١] . وأما سبب هذا الشعور عند أولئك العلماء هو أنهم يعتبرون القفقاسيين ممثلي سكان أوربا الأولين .

وفي الحقيقة فقد اتفق رأي العلماء منذ زمن غير بعيد بأن القفقاسيين الأصليين (Paléo-Caucasiens) القاطنين في الطرف الشرقي لقارة أوربا ، والباسك (Basques) الذين هم في غربها ، والاتروسك (Etrosques) الذين كانوا فيما بينهما هم بقايا مدنية قديمة وعالم قديم كان يسكن أوربا قبل استيلاء الهنود الأوربيون (Indo-Europeens) عليها .

وقد انقرض الأتروسك الذين كانوا يسكنون شمالي ايطاليا واقتبست روما كثيرا من مدنيتهم منذ زمن بعيد ، ولم يبق من الباسك الذين لعبوا دوراً هاماً في أوربا الغربية قبل استيلاء الكلت (Celtes) عليها إلا شعب صغير يقطن الآن في جبال البيرنيه بين فرنسا واسبانيا ، وأما القفقاسيون الأصليون فيفوق عددهم الى يومنا هذا على الثلاثة مليون .

ولذلك نرى علماء أوربا يبذلون جهدهم في سبيل العثور عند القفقاسيون الأصليين على بقايا العناصر التي كانت تؤلف مدنية أوربا القديمة قبل استيلاء الآريين (Ariens) عليها وازدهارها الآري الحالي .

---

١ - A. Byhan, La Civilisation Caucasienne Hambourg.

- الترجمة الفرنسية لـ : George Montandon, Paris, 1936 .

ويعتبر المؤرخون بأن الأوربيون القدماء [1] ، وشعوب ايجه ـ الكريديون Egéo-Cretois وسكان آسيا الصغرى القدماء Asianiques هم عالم واحد ومدينة واحدة ويجمعهونهم تحت اسم «شعوب البحر الأبيض المتوسط» Mediterranéens (جارده ـ ص ٩٥) . [2] وينتسب البلاج والتراكيون والكيمريون والاتروسك والليفور والمدول والليسيون والليبيون واللج والكاريون والليديون والعيلاميون والسومريون والميتانيون والمديون والقاسيون والحثيون الى شعب البحر الأبيض المتوسط .

وينتسب القفقاسيون الأصليون ، وخاصة الشراكسة منهم ، إلى بعض هذه الشعوب مثل : الكيمريين والمديين والقاسيين والميتانيين والحثيين كما سيتضح من الفصول الآتية :

وقد كان تأثير شعوب البحر المتوسط على المدنيات الشرقية الكبيرة (مصر والكلدان) والمدنيات الغربية (اليونان وروما) عظيماً للغاية . وهم الذين أسسوا الديانة الطبيعية وتضلعوا بعلم النجوم والعلوم الحقوقية والطبية . وقطعوا البحار الواسعة قبل الكل واخترعوا الخط الكوفي والخط الهيروغليفي القبادوكي والخط الصوتي الكريدي أساس الأبجدية الفينيقية ، وهم أول من قام بتربية الخيل وصنع المعادن وبناء السفن وتفننوا بالزراعة وخاصة زراعة الحبوب والكرمة واستخرجوا الزيوت والخمور من الثمار (اوتران ص ٣٠٧) [3] .

ويرجع أول ظهور لشعوب البحر الأبيض المتوسط في القارة الأوربية الى عصور ما قبل التاريخ عندما استولى القفقاسيون على القارة الأوربية من جبال القفقاس وحتى المحيط الأطلسي والى شمال افريقيا وذلك في الأزمنة الحجرية Paléolithique-Recent وفي الدور السوليتري منه(Solutreen سنة عشرين ألف قبل

١ ـ المقصود «القفقاسيون»

٢ ـ A. Jardé. La Formation du peuple Gres (Evolution de L'humanité), Paris, 1923

٣ ـ C. Autran, La Civilisation Asianique les langues du monde Paris 1924

الميلاد ويعد شعب الباسك المطالب بحريته واستقلاله من أحفاد هذا الجنس (الكاندر موريه ص ٢٠) [٤] .

وقد حصلت استيلاءات عديدة غير هذه على القارة الأوربية خلال الأزمنة الحجرية من قبل عناصر البحر الأبيض المتوسط .

وفي الأزمنة الحجرية المصقولة (Néolithique) من سنة عشرين ألف الى ثلاثة آلاف وخمسمائة قبل الميلاد ، ظهرت شعوب أخرى من شعوب البحر الأبيض المتوسط في أدوار مختلفة على القارة الأوربية وشمال أفريقيا وغربي آسيا ومنهم العيلاميون شرقي دجلة سنة (٥٠٠٠) ق.م) والسومريون في جنوبي بلاد ما بين النهرين سنة (٤٠٠٠) ق.م وهم مؤسسوا حضارتها العريقة اضافة الى عناصر أخرى ظهرت في سوريا ومصر .

ثم ظهرت في أوائل التاريخ (Protohistoire) شعوب جديدة من شعوب البحر الأبيض المتوسط كالمديين والقاسيين والميتانيين والحثيين في الشرق الأدنى سنة (٢٠٠٠ ق.م) ثم الاتروسك في جنوبي اوربا سنة (١٥٠٠ ق.م) .

وقد ابتدأ انقراض شعوب البحر الأبيض المتوسط في أوائل القرن العشرين قبل الميلاد بظهور الآريين في اوربا (اليونان) وفي آسيا (العجم) ، ودام دور انقراضها اكثر من ألف سنة وكان اليونان قد امتزجوا امتاجا محكما مع هذه الشعوب واقتبسوا كثيرا من مدنياتها في القرن العاشر قبل الميلاد . كما وأن العجم كانوا قد أكملوا اختلاطهم مع المديين والقاسيين والعيلاميين في أوائل القرن السادس قبل الميلاد .

ثم عاش كثير من شعوب آسيا الصغرى القديمة (Asiœniques) بين الساميين قروناً طويلة في المنطقة ما بين جنوبي جبال طوروس والمنحدرات الهامشية في العراق . وكانت هذه الشعوب تتمثل وتختلط بالساميين بمرور الزمن . إلى أن وقع هؤلاء بدورهم تحت الاحتلال الفارسي (العجم) في القرن السادس قبل الميلاد .

---

٤ ـ Alexandre Moret, Histoir de L'Orient. (Histoire Ancienne Glotz). Paris 1929

وحصلت في هذه الأثناء اقتباسات جمة من قبل الآرين والساميين من مدنيات البحر الأبيض المتوسط ومن لغاتها . مثال ذلك الكلمات الكثيرة والأسماء العديدة من لغات البحر الأبيض المتوسط في اللغة الفرعونية واليونانية والايطالية والايرانية والأرمنية وغيرها ، كما وأن اللهجة السامية المختلطة التي ظهرت أخيراً في ألواح قبادوكيا من آثار الحثيين ، ولهجة الآموريين في سوريا تعدان من هذه الأمثلة . (اوتران ص ٣٠٨) (١) .

---

١ ـ C. Autran, Les Langues de L'Asie Anterieur Ancienne. Les langues du Monde Paris 1924

قفقاسيا واليونان

أشرنا في الفصل السابق بأن اليونانيين القدماء اختلطوا اختلاطا كبيراً مع شعوب البحر الأبيض المتوسط واقتبسوا كثيراً من حضارتهم وأكبر دليل على هذا الامتزاج هي المعلومات التي انتقلت إلينا من المصريين القدماء بخصوص هجوم «شعوب البحر» على مصر وسواحل سورية في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وكان من نتائجه انقراض الامبراطورية الحثية ، وظهور الآشوريين وفينيقيا والآراميين وبني اسرائيل ودخول عناصر عديدة من شعوب البحر الأبيض المتوسط فيما بينهم «دافي ص ٣٨٥» [١]

وقد حصل الهجوم الأول لشعوب البحر في زمن الفرعون (مرنبتاح) سنة ١٢٢٩ قبل الميلاد ، والهجوم الثاني في زمن (رمسيس الثالث) مابين (١١٩٥ - ١١٩٢) قبل الميلاد وكانت شعوب البحر تتألف من (الليسيين - الشاردان - الاتروسك - الآخيين) وكانوا جميعا بقيادة الليبيين ثم لحق بهم الفلسطينيون والزكال في الهجومين الثاني والثالث . وكل هذه الشعوب ما عدا الآخيين المعروفين باليونانيين كانوا من شعوب أوربا وايجه وآسيا الصغرى : فالليسيون والشاردان من آسيا الصغرى والاتروسك من أوربا والليبيون والفلسطينيون والزكال من شعوب ايجه «هال» [٢]

وكل من يقرأ (هوميروس) ويدقق في الأساطير اليونانية يقتنع بسهولة أن ثلاثة أرباع الحضارة اليونانية مأخوذة من شعوب البحر الأبيض المتوسط وان الاعجوبة اليونانية (Miracle grec) لايمكن تأويلها بغير ذلك «دومون بيرو ، ص ٦٥ ، ج٤» [٣]

١ - G. Davy, Des Clans aux Empires, (Evolution de Lhumanité) Paris 1922

٢ - Hall. The Peoples of the Sea (Recueil Champollion). Paris 1939

٣ - Dubois de Montpereux, Voyage autours du Caucase, Bruxelles, 1839

وفيما يلي بعض الأمثلة عن أهمية قفقاسيا عند اليونانيين القدماء :

١ ـ تعتبـر الأسطـورة اليونـانية دوكاليون (Deucalion) أبـا للشعب اليوناني ، وهو ابن بروميته (Promethée) الذي قيد بالحديد على جبال قفقاسيا من قبل زيوس (Zeus) مدة خمس عشر قرنا ، لأنه كان قد خلق الانسان الأول وسرق النار منه لاحياء مخلوقاته .

٢ ـ وقد انتخب هومر البحر الأسود ، والكولخيد أي جنوبي بلاد الشركس وبلاد الكيمويين أي شمالي بلاد الشركس مسرحا لبطله أوليس (Ulyss) في ملحمته الشهيرة الأوديسة (Odyssée) .

٣ ـ هرب فريكزوس (Phrixus) بن آتاماس الى قفقاسيا ، راكبا غنما ذات صوف من الذهب حيث ضحى بالغنم وعلق جلدها على شجرة في جبال القفقاس ، وسافر جاسون (Jasson) مع الأرغنوت (Argaunautes) الى بلاد الكولخ للتحري عن هذه الجلود ، وتزوج (مه ده) ، (Medée) بنت ملك الكولخيد التي أصبحت بعد حوادث كثيرة زوجة (ئه جه) ، (Egée) ملك أثينا .

وذهبت كيركه (Circé) خالة (مه ده) الى بلاد اليونان مع الأرغونوت حيث حصلت لها حوادث عديدة خارقة للعادة ثم عادتا إلى بلادها .

القفقاسيون والساميون

في أوائل التاريخ (Protohistoire) :

في حوالي سنة (٣٥٠٠) قبل الميلاد نجد ثلاثة شعوب متحضرة في المنطقة الواقعة شمال الخليج العربي ـ مابين نهري دجلة والفرات (Mésopotamie) وفي شرقيهما . هذه الشعوب تشتغل بالزراعة وتربية الحيوان والتجارة ، وتبني المنازل والمعابد والقصور . وهي :

العيلاميون شرقي نهر دجلة ، والسومريون في القسم الجنوبي من بلاد ما بين النهرين من مدينة بابل الى الخليج ، ثم الساميون في القسم الشمالي .

العيلاميون : وهم يسمون انفسهم حاتامتي (Hatamti) أقدم شعوب المنطقة حضارة . وقد تمكن العلماء من اكتشاف آثارهم العائدة إلى العصور الحجرية النحاسية (Enéolithique) في مدينة سوز (Suse) الأولى والثانية .

وقد كان منشؤهم مجهولا إلى أن عثر قبل مئتي سنة تقريبا على كتابات ايرانية تعود إلى زمن ملوك الكنعانيين وهذه الكتابة مكتوبة بالخط الكوفي وبثلاث لغات : الايرانية في العمود الأول والعيلامية في العمود الثاني ، والآشورية في العمود الثالث . واختلف العلماء مدة طويلة عن ماهية اللغة التي كتب بها العمود الثاني التي اعتبرت تارة اللغة المدية وتارة العيلامية وأخرى اللغة المدية العيلامية ، الى أن تمكن العالم الألماني موردتمان (Mordtmann) في سنة (١٨٧٠) من حصر لغة العمود الثاني بأنها اللغة العيلامية فقط . وقبل أكثر العلماء منذ ذلك الحين هذه النظرية . (اوتران ص ٢٨٦) سبق ذكره) .

أما فيما يتعلق بصلة هذه اللغة باللغات الحالية ، فقد أثبت العالم (هزيش

وينكلر) [1] في عام ١٨٩٦ بأن لغة العمود الثاني هي لغة قفقاسية . وأيدت هذا الرأي دراسات البعثة العلمية الفرنسية لايران في عام (١٩٠١) ، (مورغان) ، [2] كما أن (هوسينغ وبورك) [3] توصلا الى نفس النتائج .

وفي عام (١٩١٢) بين الاستاذ (نيقولامار) [4] بأن لغة العمود الثاني هي لغة قفقاسية شركسية (بلهجة الأبازة) .

السومريون : كانت الحضارة السومرية هي الأقدم ما بين الحضارات الثلاث السابق ذكرها في بلاد الكلدان في أوائل التاريخ ، ودامت مدة تزيد عن الألف سنة ، إلى حين قيام الامبراطورية البابلية السامية من قبل أمراء آغاد(Agade) ، في سنة (٢٢٢٥ قبل الميلاد) .

وهم الذين أسسوا التشكيلات السياسية والدينية الأولى للكلدانيين واخترعوا الخط الكوفي الذي دام استخدامه في الشرق الأدنى والى حين اختراع الأبجدية الفينيقية ، ولغة السومريين هذه لا تمت الى اللغات السامية أو الآرية بصلة وهي من زمرة اللغة العيلامية وسائر اللغات القديمة في آسيا الصغرى . (اوتران ، ص ٢٧٤ ، سبق ذكره) .

ان الجدل فيما يتعلق بأصل ومنشأ السومريين لم ينته بعد ، ويعتبر أكثر العلماء السومريين الذين يسمون أنفسهم كنجي (Kengi) من أصل قفقاسي . وتؤيد هذه النظرية التحريات الواسعة النطاق التي قام بها علماء الانكليز والاميركان عام (١٩١٨) في العراق حيث اكتشفوا جماجم سومرية عديدة كلها جماجم قفقاسية ..

---

١ ـ Henriche Winkler, Die Sprache der Zweiter kolumne der dreisprochigen inschriften, Berslau, 1896.

2- J. de Morgan, Les Memoires de la delégation française en perse, Paris 1901.

3- Husig, Elamiche Studien Leipzig 1898.

Bork, Zur Erklarung der Elamiche Briefe, leipzig, 1917

4- N. Marr. تعين لغة العمود الثاني بواسطة النظرية اليافثية . بتروغراد ، ١٩١٢ (باللغة الروسية) .

وقد ثبت علاوة على ما سبق بأن الحضارة السومرية في أوائل التاريخ والحضارة التي كانت قائمة في ذلك الوقت في بلاد الشركس في قفقاسيا «منطقة القوبان» هما حضارتان متشابهتان تماما في سائر الوجوه ، من حيث الآثار المكتشفة والصناعات ، وطراز البناء . . الخ .

(الكساندر موريه ، ص ١٢٢ ، سبق ذكره) .

في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد :

في بداية القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد ، كان الشرق مقسما الى امبراطوريتين عظيمتين : الامبراطورية السامية (بابل الأولى) في بلاد الكلدان والامبراطورية الفرعونية في مصر .

ثم ظهرت شعوب جديدة في الشرق القديم . نزلت من آسيا الصغرى وقفقاسيا واحاطت بالامبراطورية البابلية من ثلاث جهات . الشرق والشمال والغرب وهي : (المديسون Med.Met.Maot) و(القاسيون Kass. Koss) و(الميتانيون Mitani) ، (والحثيون Hat. Hati, Khat) .

وقد استوطن المديون هضاب ايران الشمالية شرقي بلاد الكلدان حيث حكموا مدة ألف سنة ونبغوا في فن الزراعة . وظهر القاسيون ، وهم يركبون الخيل [1] في شمال بلاد الكلدان سنة (٢٠٥٠) قبل الميلاد وتسربوا بين الكلدانيين مدة ثلاثمائة سنة إلى أن استولوا على العرش البابلي عام (١٧٦٠) قبل الميلاد .

(دافي ص ٢٧٤ ، سبق ذكره)

ثم استولى الميتانيون على الأض الواقعة ما بين بلاد الكلدان وبلاد الآشوريين وما بين دجلة والعاصي ، ولعبوا دوراً هاماً في الشرق الأدنى قروناً عديدة وكانوا حلفاء للفراعنة في مصر ، إلى حين الحاق بلادهم بالامبراطورية الحثية .

(دافي ، ص ٣٣٦)

---

(١) أول من ركب الخيل واستخدمها في الشرق

ووصل الحثيون في أوائل القرن العشرين قبل الميلاد ، نازلين من قفقاسيا ، الى حدود الامبراطورية البابلية ، وكان أول ظهورهم في قبادوكيا وكيليكيا مسلحين بالسيوف والخناجر الطويلة ذات الحدين . وفتحوا بابل في سنة (١٩٢٥) قبل الميلاد وسلموا العرش للسومريين . ودخلوا سوريا الشمالية في أواسط القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وأسسوا امبراطورية عظيمة كانت الأولى في الشرق القديم وقاومت مصر إلى حين هجوم شعوب البحر .

(دافي ، ص ٣٥٠)

ونسرد الآن رأي علماء التاريخ عن منشأ وأصل هذه الشعوب :

المديون :

كنا قد بينا عند البحث عن ماهية لغة العمود الثاني من الكتابة الايرانية ـ الكنعانية أن المؤرخين اعتبروا لغة العمود الثاني ـ لغة المد القديمة أو المد ـ العيلامية .

ومن بين هؤلاء : الاستاذ (ناميتوق) ، الذي شرح شرحا وافيا بأن المد. ينتسبون الى المه يوت (Méotes) الذين كانوا يقطنون شرقي بحر آزوف من بلاد الشركس .

ويؤكد السيد ناميتوق التشابه الكلي الموجود بين اللغة الشركسية واللغة الوانية (Vanique) (١) الى وحدة اللغة عند المه يوت والمد الذين كانوا قد تسربوا الى منطقة وان . وكان المرحوم (عزت باشه مت) (١) يؤيد هذا الرأي (ناميتوق ، ص ١٣٢) (٢) .

القاسيون والميتانيون :

لايوجد أي خلاف في آراء العلماء عن منشأ هذين الشعبين ، بعد أن بينّ

(١) لغة قديمة كانت مستعملة في منطقة وان (تركيا) وتسمى ايضا (الاورانية) . أو (المالوية) .
(١) : مه ت عزت ، قديم تراكيا ليلر ، استانبول ١٩١٦ .
(٢) : A. Namitok, Les Origines des Circassiens Paris, 1932

(ادوارمـاير) [٣] جليا بأن القـاسيين ليسـوا آريين ، وأثبـت القرابـة بـين القـاسية والعيلامية والحثية (اوتران ص ٢٩٥) . وأثبت (فينك) [٤] بأن اللغة القاسية لغـة قفقاسية ، ونشر (بورك) [٥] تتبعاته الهامة عن القاسية والميتـانية فأدخلهما في عداد اللغات القفقاسية ومن النوع الشركسي الاباز ي ، حصل الاتفاق بين العلماء عن منشأ وأصل شعبي قاسي وميتاني .

الحثيون :

وفيما يتعلق بأصل الحثيين فإن العلماء ، بالرغم من أن اللغة الحثية لم يجـر تحليلها التحليل العلمي الكافي حتى الآن ، هم على وشك الاتفاق عليه :
- يعتقد (فاينر) [١] بأن الحثية لغة قفقاسية . ويقبل (كونتـه نو) [٢] هذه النظـرية ولكنه يقول بأن الحثية تحتوي بعض العناصر الآرية ، أما العلماء (مه زاروس) [٣] و (فورد) [٤] و (جوهام فريدريك) [٥] وغيرهم كثير فقد اعتبروا اللغة الحثية ، بعد درس وتفحص عميقين ، لغة قفقاسية ومن الفرع الشركسي الأوبيكي بالتحديد .
- في الحقيقة أن العنصر الشركسي يظهر بوضوح تام في اسم الشعب نفسه وفي أسماء ملوكه وآلهته . . الخ ، ويمكن أن نبين ذلك في الكلمات التالية :

---

(٣) : E. Mayer, Histoire de L'Antiquité (Trad. Moret) Paris 1913

(٤) : Finek. Die Sprachstomme des Erdkreises, leipzig Berlin, 1915

(٥) : Bork, Zur Sprachwissenschafl.

Bark, Mitanisprache (M, Y, A, G 1909

1- Veidner, Assyrologie, Leipzig, 1922

2- Contenau, Bléments de bibliographie Hitite Paris 1922

3- Mézaros, The Oriental Institute of unirersity of chicgo, 1934

Studien in Ancient, Oriental Civilisationne (Chikago 1934

Forer, Die Inschriften und Sprachen des Hattiche Reiches (Z.d.M.G. 1920)

J. Fredrich, Angeliche modem Rest Altkkinasitche Sprachen (Z. d. M.G. 1934)

A. Namitok, le nom du dieu de l'orage chezeles Hittites et les Kassites, (Rev. de L'Histoire des Religions, Juillet, 1939, Paris)

حاتكي ـ حات+ كي= اسم علم+ أداة جمع وتعني (الحاتيون) ، وهو اسم عشيرة شركسية حالياً .

حاتقو ـ حات+ قو= اسم علم+ أداة نسب تعني (آل حات) وهو اسم قبيلة شركسية معروفة حالياً .

حاتيقوى ـ حاتي+ قو+ى= اسم علم+ أداة نسب+ أداة مكان تعني (منطقة آل حاتي) . وهو اسم منطقة في البلاد الشركسية واسم القبيلة القاطنة فيها . .

حاتو ـ اسم عدة ملوك عند الحثيين ، وهو اسم علم شائع حالياً عند الشراكسة .

وه شكي (Wechkha) اسم الله عند الحثيين وعند الشراكسة الأوبيك . وهو بمعنى المطر عند الشراكسة اديكه . وكان يطلق قديماً على إله الزوبعة والصاعقة والمطر . (ناميتوق) (٦) .

الفصل الأول

نبذة جغرافية

* موقع قفقاسيا وحدودها ومساحتها :

تقع قفقاسيا بين قارتي أوربا وآسيا ، أي بين روسيا الاوربية وتركيا الآسيوية وبلاد العجم ، وبين بحري الأسود والخزر .

يحدها شرقا بحر الخزر وغربا البحر الأسود (وتمتد بينهما سلسلة جبال القفقاس). وتحدها شمالاً أنهر ييسق ومانيتج وقوما ، وجنوباً تركيا وبلاد العجم ، وتبلغ مساحتها السطحية (٤٢٠) ألف كم٢ ، منها (١٤٠) ألف مساحة السلسلة الجبلية وحدها .

* المناطق الطبيعية :

تبدأ سلسلة جبال القفقاس عند شبه جزيرة تامان الواقعة على البحر الأسود ، وتنتهي عند شبه جزيرة أبشرون على بحر الخزر بطول (١١٠٠) كيلومتر ، مارة من منتصف البلاد باتجاه شمال غربي/ جنوب شرقي ، وقاسمة البلاد إلى ثلاثة أقاليم طبيعية :

اقليم سلسلة الجبال ، قفقاسيا الشمالية (شمال السلسلة) ، قفقاسيا الجنوبية (جنوب السلسلة) .

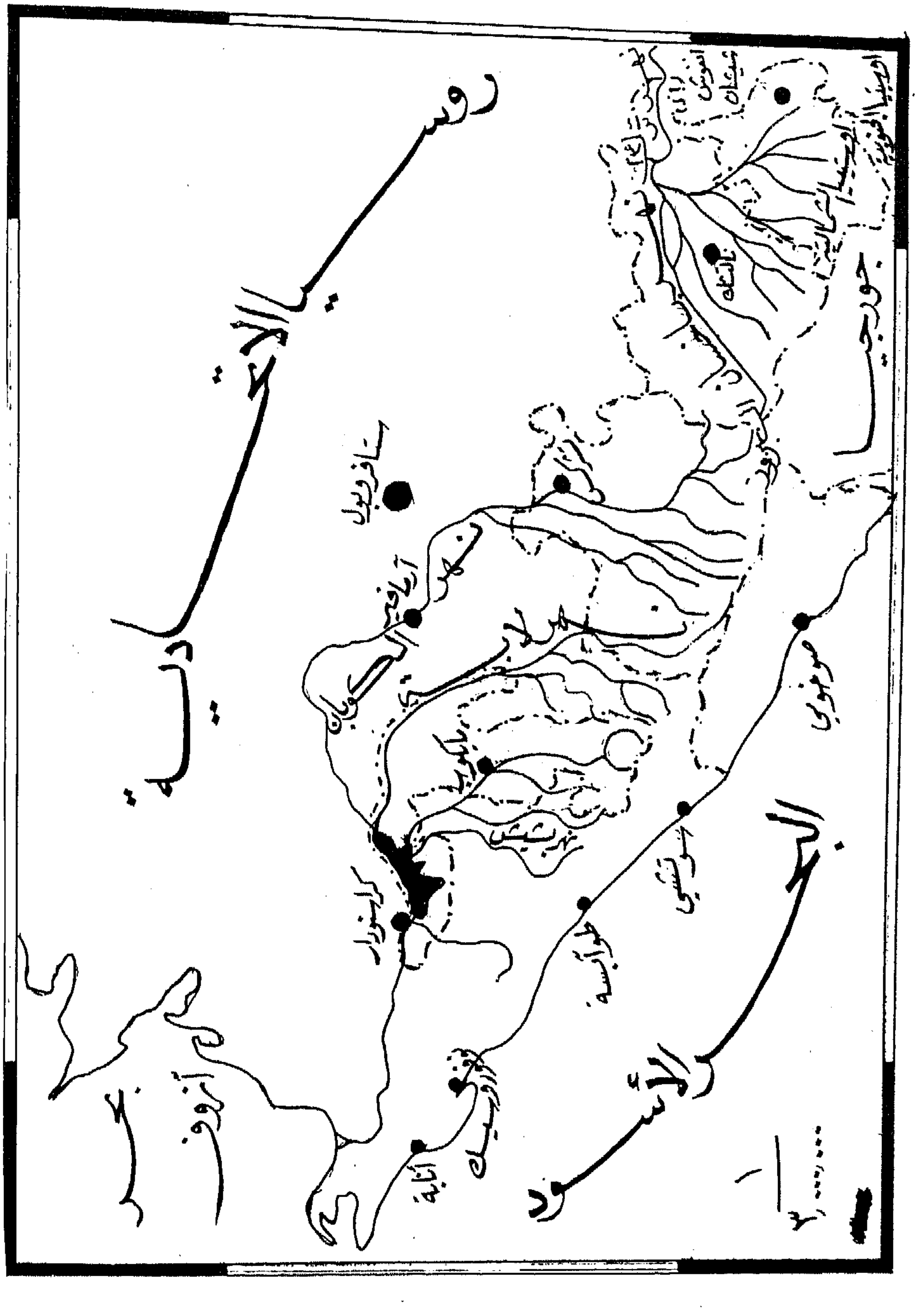
روسيا الاتحادية
البحر الأسود
بحر آزوف
نهر الكوبان
جورجيا

الفصل الثاني

نظرة عامة على تاريخ قفقاسيا

ان أقدم المعلومات التاريخية عن قفقاسيا والقفقاسيين كتبت في أوائل القرن السادس قبل الميلاد ، ووقتها كانت أكثر شعوب أوربا القديمة وشعوب ايجه والكريديين وشعوب آسيا الصغرى القديمة قد انقرضت ، وظهر الشعب اليوناني من امتزاج بعض أقسام من هذه الشعوب مع عناصر هندية أوربية ، وقام باحتلال البحار والطرق البحرية وحل بذلك مكان الفينيقيين فيها ، وقام بتأسيس مستعمرات كثيرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط ، ثم البحر الأسود وأقام على شواطئه المدن التجارية العديدة .

وكانت الامبراطورية البابلية والامبراطورية الفرعونية تعانيان من الضعف بانتظار قيام الامبراطورية الفارسية حوالي عام (٥٥٠) والتي حلت محلهما .

ومنذ أوائل القرن السادس قبل الميلاد وحتى أوائل القرن التاسع عشر بعد الميلاد (تاريخ استيلاء الروس على قفقاسيا) أي خلال خمسة وعشرين قرنا كاملا ، تمكن القفقاسيون من الاحتفاظ باستقلالهم أمام كثير من الضغوط التي تعرضوا لها من قبل الشعوب الغازية باستمرار وهذه الضغوط هي :

أولا : الضغط الآري (يونان ، ايران ، روما) من جهة الجنوب .
ثانياً : الضغط الطوراني (مغول ، ترك) من الشمال والجنوب .

وكانوا كلما اشتدت وازدادت الضغوط عليهم ، ينسحبون ويتراجعون أمامها باتجاه الجبال تاركين السهول وراءهم ، فتقلصت من جراء ذلك رقعة المناطق التي يسكنونها ، حتى اقتصرت بلادهم عند بدء الاستيلاء الروسي عليها على السلسلة القفقاسية وتفرعاتها الشمالية والجنوبية .

لم يتمكن القفقاسيون من تأسيس حكومات قوية وحضارات لامعة خلال القرون الخمسة والعشرين السالفة الذكر بسبب تعرضهم للحروب الدائمة ولكنهم تمكنوا من الاحتفاظ بما لديهم من مدنيات قديمة امتزجت بالطباع الحربية والعتعنات العسكرية وتأثرت بالمؤثرات الخارجية التالية :

أولاً : دخلت الديانة المسيحية إلى القفقاس من الجنوب في أوائل القرن الأول الميلادي وانتشرت فيها خاصة خلال القرن السادس للميلاد وتنصر الكرج والشركس .

ثانياً : وصل العرب قفقاسيا من الجنوب في القرن الثامن الميلادي ، وأسلمت بعض قبائل الكرج وقبائل الداغستان ، وأسلم الشراكسة بدءاً من القرن السابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر للميلاد بدون فتح ولا ارغام ، وذلك بتأثير عوامل سياسية واقتصادية مختلفة أهمها :

ـ العلاقات السياسية والاقتصادية مع دولة المماليك في المشرق ، ثم مع الأتراك العثمانيين ، ثم مع التتار حكام القرم ، ثم تحول الصداقة الشركسية الروسية الى عداء مستحكم بين الشعبين بعد ظهور السياسة الاستعمارية التوسعية لدى قياصرة الروس .

الفصل الثالث

شعوب قفقاسيا

يقطن في قفقاسيا شعوب مختلفة ، وهم : القفقاسيون الأصليون والآريون والتورانيون واليهود .

يتألف الآريون من الأرمن وبعض العناصر الايرانية في قفقاسيا الجنوبية والوسطى ومن السلافين الذين سكنوا قفقاسيا بعد الاستيلاء عليها من قبل الروس .

يمثل التورانيون بعض القبائل المغولية في قفقاسيا الشمالية (قوموق ، بالقار قره شي ، نوغاي) ، وقبائل ازربيجان التتارية التركمانية في قفقاسيا الجنوبية . ويسكن بعض اليهود في مناطق متفرقة وقليلة من قفقاسيا .

أما القفقاسيون الأصليون (Paléo-Caucasiens) فانهم يتألفون من الشراكسة والداغستان في قفقاسيا الشمالية ومن الكرج في قفقاسبا الجنوبية ، ويسكن (الأوسه ت) فيما بين الشراكسة والداغستانيين في قفقاسيا الوسطى ومعهم عناصر ايرانية وآرية .

الفصل الرابع

اللغات القفقاسية

يتكلم القفقاسيون الأصليون لغات متعددة لا يدخلها اللغويون في عداد اللغات الآرية أو السامية أو الطورانية ، ويسمونها لغات قفقاسية (Langues Caucasiques) وتشبه هذه اللغات اللغة الباسكية (Basque) واللغة الاتروسكية (Etrusque) ولغات عديدة استعملت قديما في آسيا الصغرى وشمال سوريا كاللغة العيلامية والحثية والميتانية وغيرها (دير) . [١]

وتنقسم اللغات القفقاسية الى مجموعتين كبيرتين : اللغات القفقاسية الشمالية واللغات القفقاسية الجنوبية .

وتقسم اللغات القفقاسية الشمالية إلى فرعين : الفرع الشركسي Abazo-Kerkete والفرع الداغستاني Lezgo-Tchetchéne ويحوي الفرع الشركسي ثلاث لغات الأديغه ـ الأبازه ـ الويخ ، كما وأن الفرع الداغستاني يحوي عدة لغات مثل : اللزك . الشاشان ، الأوار الخ . .

وتقسم اللغات القفقاسية الجنوبية أي الكارتواليه الى عدة لغات :

1- Dirr, Einfuring in das Studium der kaukasichen sprochen, Leipzig, 1924

ـ الكرجيه المنفـرة ليه السـوانيه الـلازيه . . الـخ (تروبتسـكوي) . [1] ويتكلـم (الأوسه ت) في قفقاسيا الوسطى لغة آرية ايرانية تحوي عناصر قفقاسية كثيرة .

وإذا كانت الصلات فيما بين لغات قفقـاسيا الشمالية وبـين لغـات قفقـاسيا الجنوبية تحتاج الى اثباتات علمية اكثر مما جرى بحثه حتى الآن ، فان قرابة لغات قفقاسيا الشمالية فيما بينها لم تعد بحاجة إلى اثباتات اضافية لأنهـا اصبحـت جلية وواضحة لدى علماء اللغة . وفيما يلي بعض خصائص هذه اللغات :

تتميز لغات قفقاسيا الشمالية بوفرة حروفهـا الصامتـة التـي تتجـاوز أحيانـاً الأربعين حرفاً ، وتبدل نهاية الأسماء حسب اعرابها (Declinasion) ، وتمييز فاعل الفعل اللازم عن فاعل الفعل المتعـدي ، وبوفـرة أفعالها مع ضم مزيدات اليهـا (Préfixes) تعبر بوضـوح وسعة فائقة عن المعاني المختلفة المضادة في اللغات الآرية والسامية وبواسطة حروف الجر (Prépositions) ، وبرجوع أصل الفعل غالبـاً إلى صامت واحد . . الخ .

الفصل الخامس

العرق القفقاسي

وهو تعبير أطلق من قبل العلماء منذ مدة طويلة على العـرق الأبيض ، لأن البلاد القفقاسية كانت معروفة بأنها مهد الجمال الأمثل والقـوام الأكمـل للانسـان الأبيض ، وكان الجمال الشركسي والكرجي مشهورا منذ القديم تغنى به الشعـراء وكتبت عنه الكتابات الكثيرة . [1] وكانت هذه الميزة الطبيعية للشعوب القفقـاسية

1- Trobetskoi, les Langues Caucosiques Septentrionales, Paris 1924

(Les Langues du Monde)

(١) إن أول من تكلم عن الجمال الشركسي من كتاب العرب هو المسعودي سنة (٩٤٣) ميلادية في كتابه مروج الذهب .

سبباً لوقائع تاريخية جسيمة في الماضي . [٢]

ومنذ أوائل القرن الحالي ترك علماء ، علم الأنسال (Ethnologie) التعابير القديمة مثل العرق القفقاسي والعرق الأصفر . . الخ . . . التي كانت تجمع عناصر شتى متباينة من البشر في جنس واحد . وقاموا بالتصنيف استناداً إلى خواص حكمية ثابتة دورانية لا تتغير إلا بالاختلاط (Croisement) مثل شكل الجمجمة والوجه وتركيب الدم ولون العيون ، ولون الشعر والقامة . . الخ وعلى هذه الأسس الحديثة . تجمع القفقاسيين الأصليين حول عرقين أساسيين : عرق البحر الأسود (Pontien) ، والعرق الجبلي (Montagnard)

ويتميز عرق البحر الأسود بالرأس الطويل (Sous-dolychocéphale) والوجه الطويل ، والأنف المستقيم والعيون الملونة (غير السوداء) والشعر الكثيف الكستناوي ويمثل هذا العرق الشركس (أديغه ، ابازه ، اوبيك) والاسوه ت الغربيون (ديغور ، تاغاديفور) وبعض القبائل الكرجيه (سوان ـ منعزله ـ غوري) .

ويتميز العرق الجبلي بالرأس المرتفع القصير Hyper-brachycéphale والعيون السوداء والقامة المتوسطة ، مع عيون زرقاء ، وأنف منحن موجه الى الأسفل أحيانا . ويمثل هذا العرق الداغستانيون (لزكي شاشان) والكرج ، (بيهان ص ١٧ ، سبق ذكره) .

---

٢ ـ قامت بين الشراكسة والمغول حكام روسيا الجنوبية وشبه جزيرة القرم ، من القرن الثالث عشر وحتى القرن الثامن عشر ، حروب دامية طويلة كان من نتيجتها انتشار تجارة الرقيق الأبيض في الشرق الأدنى وظهور حكم المماليك فيها .

يقول الأب جان دولوقا البولوني الذي زار البلاد الشركسية سنة (١٦٣٧) مايلي : «لاتمضي سنة إلا وتقع غارات عديدة من قبل التاتار على المناطق الشركسية بقصد الحصول على أسرى منها مدفوعين لهذا العمل بسبب جمال سكانها . . »

ويكتب السائح الطلياني جورج انتريانو في سنة (١٥٥٠) الكلمات التالية : «يقاد هؤلاء الأسرى إلى القاهرة حيث يرتقون من أدنى درجة إلى أعلى المراتب كسلاطين وامبرالية . . الخ .

الفصل الأول

موقع شركسيا وحدودها

كان الشعب الشركسي يقطن منذ أقدم العصور القسم الغربي من قفقاسيا الذي تحده جنوباً مقاطعة المنغره لي من جورجيا ، وغرباً البحر الأسود وبحر آزوف ، وشمالاً نهر الدون (دومورغان ، جلد ٢ ، ص ١٨٦) [١] . وانسحب الشراكسة من جنوبي نهر الدون الى جنوب نهر القوبان تدريجياً ، من أواسط القرن السادس عشر الى أواسط القرن الثامن عشر ، تحت ضغط الروس السلافيين النازلين من الشمال بعد تغلبهم على امبراطوريتي قازان ، وآستراخان التاتاريتين من جهة ، ومهاجمة التتار وأصحاب القرم من جهة ثانية .

وفي أواخر القرن الثامن عشر ، عندما طوقت روسيا قفقاسيا الشمالية من كل الجهات بقصد الاستيلاء عليها ، كانت حدود البلاد الشركسية كما يأتي :

كان الحد الشمالي يبدأ عند مصب نهر القوبان في بحر الازوف ويتبع مجرى هذا النهر متجها نحو الشرق الى نقطة التقائه مع «زه لنجوق» ثم يدور حول جبال بياتاغورسك الواقعة شمالي سهل قباردا ويصل الى نهر الترك شرقي مدينة «مزدوق» .

وكان الحد الشرقي يمر شرقي مدينة مزدوق الى غربي مدينة فلاديقفقاس ، فاصلا بلاد الشاشان عن شركسيا ، وكان الحد الجنوبي يتألف من جبال الأوست وجبال السوان من سلسلة قفقاسيا الغربية ، ونهر اينغور المنحدر من هذه السلسلة والذي يفصل منغره ليا الكرجيه عن ابخازيا الشركسية ، وكان يحد البلاد غربا البحر الأسود .

(١) : J. de Morgan, Recherches sur les origines des peuples du Caucase, Paris 1889

١ ـ مقاطعة الأديغي ذات الحكم الذاتي

ـ المساحة (٧٦٠٠) كم٢ ـ عدد السكان (٤٠٦) آلاف نسمة العاصمة مايكوب وعدد سكانها (١٢٨) ألف نسمة .

٢ ـ مقاطعة القرشاي تشركس ذات الحكم الذاتي

ـ المساحة (١٤١٠٠ كم٢) عدد السكان (٣٥٩) ألف نسمة العاصمة تشركسك وعدد سكانها (٨٥) ألف نسمة .

٣ ـ جمهورية القبردي ـ بلقار ذات الحكم الذاتي

ـ المساحة (١٢٥٠٠ كم٢) عدد السكان (٦٦٤) ألف نسمة العاصمة فالتشك وعدد سكانها (١٩٩) ألف نسمة .

وتتبع مقاطعة الاديغي والقرشاي تشركسك وجمهورية القبردي ـ بلقار ادارياً الى جمهورية روسيا الاتحادية .

٤ ـ جمهورية انجازيا ذات الحكم الذاتي

ـ المساحة (٨٦٠٠ كم٢) عدد السكان (٥٠٣) ألاف نسمة العاصمة صوخومي وعدد سكانها (١٢٠) الف نسمة . وتتبع جمهورية نجازيا الى جمهورية جورجيا الاتحادية .

الجمهوريات والمقاطعات ذات الحكم الذاتي التي يعيش فيها الأديغة (الشركس) متفرقين . . .

الفصل الثاني

المناطق الطبيعية

للبلاد الشركسية أربع مناطق طبيعية ، هي : قفقاسيا الشركسية ، حوض القوبان ، سهل قباردا ، وسهل أبخازيا [1] .

قفقاسيا الشركسية :

تنقسم سلسلة جبال القفقاس ، الممتدة من البحر الأسود الى بحر الخزر بطول (١١٠٠) كلم ، وتنقسم هذه السلسلة عند ممر داريال شرقي جبل قازبك الى قسمين وهما : قفقاسيا الغربية وقفقاسيا الشرقية .

وتنقسم قفقاسيا الغربية البالغ طولها (٦٣٠) كلم بدورها الى قسمين : قفقاسيا الاوستية بطول (١١٠) كلم وقفقاسيا الشركسية بطول (٥٢٠) كلم . ويبلغ عرض قفقاسيا الشركسية (٢٠٠) كلم وهي تتألف من سلسلة رئيسية في الوسط شديدة الارتفاع يوازيها عدد من السلاسل الثانوية شمالا وجنوبا ثم سلسلة من المرتفعات الكلسية في الشمال والجنوب والموازية للسلاسل الجبلية السابقة الذكر والواقعة أمامها ، وتنحدر السلاسل الثانوية والمرتفعات الكلسية انحداراً خفيفاً نحو الشمال والجنوب في حين يكون انحدارها شبه عمودي نحو السلسلة الجبلية ، وتتصل هذه السلاسل المتوازية ببعضها بعقد جبلية تحصر بينها سهولاً دائرية أو مستطيلة تتجمع فيها مياه الأنهار ثم تشق طريقها عبر فتحات في جدران السلاسل متجهة نحو الشمال والجنوب ويبلغ ارتفاع هذه الفتحات ألف متر في المرتفعات الكلسية وأكثر من ذلك في السلاسل الجبلية .

---

(١) : يجب قراءة الأسماء والمواقع بالأحرف والمواقع بالأحرف اللاتينية وفقا للالفباء الاصطلاحي المدرج في الفصل الخامس من هذا القسم أو الأبجدية المستعملة في قفقاسيا حالياً .

وتمتد قفقاسيا الشركسية من جبل آداي الى شبه جزيرة تامان ، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام : قسم الالبروز ، القسم المتوسط ، قسم البحر الأسود .

قسم الالبروز :

يبدأ هذا القسم من جبل آداي وينتهي بجبل البروز ويحتوي على أعلى جبال قفقاسيا ويبلغ طوله (١٥٠) كلم وفيما يلي أهم جباله :

- البروز ٥٦٣٠ م Quiche-nafe
- كوشتان ٥٢١١ م Kuiçtan
- ديخ ٥١٥٩ م Dikh
- آداي ٤٦٤٦ م Aday

وتنشأ عن هذا القسم جبال فرعية تتصل بجبال بياتاغورسك (Beçtau) بعد أن تحيط بسهل قباردا من الغرب على شكل نصف دائرة .

وتتفجر من جبال هذا القسم أنهر كبيرة عديدة ، منها القوبان ، الترك القالاووس ، قوما .

القسم الأوسط :

يبتدىء من جبل البروز وينتهي بجبل اوشتك (Nevoy-quiche) بطول ١٤٠ كلم ، ويصل إلى البحر الأسود بمحاذاة مرتفع غاغرا ، بعد أن يحيط بسهل أبخازيا من الشمال . وأشهر جبال هذا القسم المغطاة بالثلوج الدائمة هي :

- شوقوصح ٣٢٤٤ م Ciuquich
- بشيص ٣٧٨٨ م Pcic
- جيليك ٣٥٠٠ م Kilik
- آشوبا ٣٦٥٠ م Açuiba

كما يتألف من المرتفعات الأمامية لهذه الجبال (الجبال السوداء) المشهورة بأحراجها الواسعة الكثيفة ، ومراعيها الغنية ، والتي يتراوح ارتفاعها بين (١٠٠٠ ـ ١٩٠٠)م أهمها :

- قيليقوصح Qıtlquiche
- بورنوق Borenique
- البيغران Elbigran

قسم البحر الأسود :

يبدأ هذا القسم عند مرتفع غاغرا ، ويتجه نحو الشمال الغربي على ساحل البحر الأسود ، فينتهي في شبه جزيرة تامان ، ويبلغ طوله (٢٣٠) كلم ، ولا يترك بين مرتفعاته الأمامية والبحر سوى ممر ضيق .

وتغطي هذا القسم من قفقاسيا الشركسية الأحراج الكثيفة والأشجار المثمرة المتنوعة ، وتقطعه الأنهار الكثيرة من الجانبين وتنخفض قممه كلما اتجهنا نحو الشمال حتى تهبط من ارتفاع (٣٠٠٠) م الى (١٠٠٠) م ، ثم لا يبقى منها فوق شبه جزيرة تامان سوى تلال صغيرة . وفيما يلي أهم جباله :

- شه سي (٢٠٠٠) م Cesiy
- نيوظي (١٠٤٠) م Niuezhiy
- غروتيك (١٠٠٠) م Gueyitx
- شابسيغ (٨٠٠) م Capsiv
- كتسغور (٨٣٨) م Ketszvuir
- يدوقوبظ (٧٣٠) م Yediuquepezh

حوض القوبان :

هو المنطقة التي يمر فيها نهر القوبان (النهر العتيق Pçiz) وروافده ، ويقع ما بين قسمي سلسلة قفقاسيا الشركسية (المتوسط والبحر الأسود) وبين سهل قباردا . وينبع نهر القوبان من السفح الغربي لجبل ألبروز ، ويتجه أولاً إلى الشمال ثم إلى الشمال الغربي ، وبعده إلى الغرب وتنضم إليه في طريقه أنهار عديدة نازلة من قفقاسيا الشركسية مثل نهر (ته به رده Teberde) ونهر (زلنجوق Zelengiqu) ، ونهر (وورووب Uirip) ، ونهر (جالموق Kalmiqv) ، ونهر (لابه Labe) ، و (فارز

(Farz ، ونهر (كورجيبس Kuirgips) ، و(صحاكواشه cheguaça) ويصب أخيراً في البحر بعد أن يقطع (٨٠٠) كلم وينقسم قبل وصوله إلى البحر إلى فرعين في نقطة تبعد (٥٠) كلم عن البحر ، فالفرع الشمالي يصب في بحر آزوف ، والفرع الجنوبي يدخل شبه جزيرة تامان حيث يتشعب الى شعبتين ، تنصب الأولى في بحر آزوف والثانية في البحر الأسود ، ويصلح نهر القوبان لسير السفن مسافة (١٦٠) كلم من مصبه .

سهل قباردا :

في شرقي حوض القوبان تتفرع من سلسلة قفقاسيا الشركسية جبال فرعية نحو الشمال بشكل نصف دائرة تتصل بجبال (بشتاو Beçtau) ، محيطة بسهل واسع حيث تتجمع المياه النازلة من الجبال وتؤلف فيه نهر الترك (Terek) ويسمى هذا السهل (سهل قباردا) .

ينبع نهر الترك من سهل مرتفع محصور بين الجبال ، شرقي جبل قازيك (Qazbek) ويتجه نحو الشمال ويرفده في طريقه أولاً نهر كوزل Guizel ، فياغ Fiygv آر Ar ، ثم أنهر ووروخ uirixu ، تشه رك Kerek ، باقسان Baqsan ويختلط مع نهر مالقا Malqa . وبعد ذلك يتجه نحو الشرق فيقطع المنطقة الجبلية ويصب في بحر الخرز .

سهل أبخازيا :

في جنوب سلسلة قفقاسيا الشركسية وعلى ساحل البحر الأسود ، يقع سهل مستو باسم (سهل ابخازيا) يمتد من نهر (إينغور Yinguir) ، الفاصل بينه وبين جيورجيا جنوبا ، إلى مصب نهر غاغرا Vavra على البحر الأسود شمالا ، وتروى هذا السهل الخصيب الرائع أنهار عديدة تنبع من الجبال وتصب كلها في البحر الأسود مثل نهر غاغرا ونهر آدزغارا Adzvara ونهر بزيل Bzil

الجمهوريات والمقاطعات ذات الحكم الذاتي في الاتحاد السوفييتي والتي يعيش فيها الشعوب : الأديغه ـ القرشاي ـ الاستين ـ الشيشان ـ الانقوش ـ الداغستان

١ ـ مقاطعة الاديفي ذات الحكم الذاتي
٢ ـ مقاطعة القرشاي ـ تشركس ذات الحكم الذاتي
٣ ـ جمهورية أبخازيا ذات الحكم الذاتي
٤ ـ جمهورية القبردي ـ بلقار ذات الحكم الذاتي
٥ ـ جمهورية أوسيتيا الشمالية ذات الحكم الذاتي
٦ ـ مقاطعة اوسيتيا ذات الحكم الذاتي
٧ ـ جمهورية الشيشان ـ أنقوش ذات الحكم الذاتي
٨ ـ جمهورية الداغستان ذات الحكم الذاتي .

الفصل الثالث

الأحوال الطبيعية

الثروة المعدنية :

ان شركسيا غنية بالمعادن المتنوعة : يستخرج البترول في مايقوب Meyquape في شبه جزيرة تامان والرصاص عند ينابيع القوبان والحديد والنحاس والفحم الحجري في أماكن مختلفة .

المياه المعدنية :

تعد شركسيا من حيث المياه المعدنية من أغنى بلاد العالم . وفي منطقة بشتاو وحدها وفي مساحة لا تتعدى (٣٥) كلم توجد ينابيع عديدة شبيهة بينابيع فيشي وفالس ولوشون وأكس لاشابل وماريه ن بار . . الخ . وهي حاوية على الكبريت والحديد والمغنزيوم واليود والبروم بأنواعها .

المناخ :

يوجد اختلاف كبير في المناخ ، بالنسبة للارتفاع عن سطح البحر (من تحت الصفر الى ٦٠٠٠ م) وكذلك البعد عن البحر الأسود : فيكون المناخ قارياً شمالي سلسلة الجبال (حوض القوبان وسهل قباردا) وبحريا على ساحل البحر الأسود وفي سهل أبخازيا .

ان سواحل البحر الأسود من شركسيا الممتدة من مدينة صوخوم جنوباً الى مدينة نوفورسيك شمالا تعد من أجمل بلدان العالم وهي تفوق بجودة مناخها وجمال مناظرها الريفييرا كما أنها أوسع منها : تظهر للناظرة كأنها جزر الكناري انتقلت

لأقدام جبال قفقاسيا الشاهقة المغطاة بالثلوج الدائمة والسفوح المغطاة بالأحراج الكثيفة وتقع على هذا الساحل اللازوردي مدن :

صوخوم ، غاغرا ، صوتشي ، توابسه ، نوفوروسيك

النبات والحيوان :

ينبت في حوض القوبان وسهل قباردا النباتات التي تنبت غربي أوربا ، بينما تشبه نباتات سهل ابخازيا البحر الأبيض المتوسط وتزرع فيه الكروم حتى ارتفاع ١٦٠٠ متر والحبوب الى ارتفاع ٢٣٠٠ مترا .

ويبلغ طول المنطقة الحراجية في السلسلة (٧٠٠) كلم وعرضها (٢٣) كلم وتحوي الأحراج أنواع أشجار اوربا والأشجار المثمرة المتنوعة .

أما الحيوانات في شركسيا فانها لا تختلف كثيرا عن حيوانات أوربا [١]

الفصل الأول

الأديغة

تمهيد : الكتل اللغوية .

يتألف الشعب الشركسي ، بحسب اللغة والموقع الجغرافي ، من ثلاث كتل : [١]

١ ـ الأديغة (Adiwe) ويعرفون عند الأمم الأخرى بالشركس ، ولما استولى الروس على شركسيا سنة (١٨٦٤) كان عددهم يبلغ نصف مليون نسمة .

(١) : اقتصرنا على هذه الدراسة البسيطة لمنطقة القفقاس كما وردت تماماً في المخطوط ولم نحاول تعديلها أو التوسع بها لأن هدف المؤلف كان اعطاء فكرة عامة بسيطة ومن أراد الاستزادة فهناك الدراسات الجغرافية الموسعة لذلك .

(١) : اعتبرنا في سرد القبائل الشركسية الوضع الاتنوغرافي الذي كان في شركسيا قبل الاستيلاء الروسي عليها والهجرة الشركسية عام (١٨٦٤) .

٢ ـ الأبخاز (Ankhaz) وكان عددهم يقارب عدد الأديغة .
٣ ـ الاوبيك (uibix) وكان عددهم يبلغ خمسين الف نسمة [٢] .

الأديغة

ينقسم الأديغة الى فرعين : جثاك (Kzax) وهم سكان حوض القوبان وسواحل البحر الأسود وصحاغ أي قبردي (Chav) وهم سكان سهل قباردا .

الجثاك : يضم القبائل التالية : [٣]

كر و ن (Guirin) ـ كانت هذه القبيلة تقطن شبه الجزيرة الصغيرة الواقعة فوق تامان بين خليج (ثه سك) وخليج (بيزوغ) ، ثم توزعت فيا بين القبائل الأخرى عندما شغل هذه المنطقة القوزاق والاوكرانيون في أوائل الحرب الروسية القفقاسية .

حاتقوا : (Hatque) كانت تسكن شبه جزيرة تامان ، وانسحبت منها الى ضفة نهر القوبان الجنوبية ، عندما اكتسح الروس القرم ، واستشهد القسم الأكبر من أفرادها ، عندما فتح الروس مدينة أنابا Anape في سنة (١٧٩١) وتوزع من بقي منهم بين القبائل المجاورة .

تشه بن (Kebin) كانت تعيش بجوار قبيلة جاتقو ثم اختلطت مع قبيلة (ناتخواج) وتنتسب عائلة باستوق (Bastiqu) الى هذه القبيلة .

كيفاك (Xivag) :

كانت بجوار مدينة آنابا في المنطقة الواقعة شماليها . وقد مات كثير من أفرادها بمرض الطاعون الذي تسرب اليهم من الجيش الروسي الذي كان يقيم على الحدود في سنة (١٨١٢) ، وتوزع الباقون منها بين الناتخواج وغيرهم .

---

(٢) : يقدر المستر بل في كتابه «اقامة في شركسيا» عدد الشراكسة في سنة (١٨٤٠) بأكثر من مليون نسمة .

(٣) تعني كلمة جثاك (المنطقة السفلى) وكلمة صحاغ (المنطقة العليا) .

جانا (Jane) :

كانت تقيم في شمالي نهر القوبان حول (قاراقوبان) والأحراج الحمراء Mezcheptl فاحاط الجيش الروسي بالقاطنين في الأحراج الحمراء ، وأبادهم بصورة وحشية في أواخر القرن الثامن عشر وأخذ ما تبقى منهم إلى الأسر .

وأما الذين كانوا قاطنين حول (قاراقوبان) فانهم انسحبوا في سنة (١٧٧٨) الى ضفة نهر القوبان الجنوبية واستوطنوا حول نهري بشه تس Pçets وخوخوي Khuekhuey قرب أنابا ، ونهر آداكوم Adaguim وعاشو تحت رئاسة عائلتي زانه قو Zaneque ومه داوقو Medauque

ناتخواج (Natkhuaag) :

كانت تقطن سواحل البحر الأسود من شبه جزيرة تامان الى بلاد الاوبيك في وديان أنهر جيفا Give بريبه بس Pribeps خوبس Khuips بسيف Psif نه فيل Nefil قوداق Quidaq له صه بسين Lecepsin باقان Baqan آداكوم Adaguim تشه مز Tsemez تاسيبظ Tasibzh تصوب Dcuib وكانت هذه القبيلة تعد من أقوى قبائل الشركس .

شابسوغ (Capsiv) :

كانت تسكن شرقي القبائل المذكورة اعلاه على ضفاف نهر ووبين Uibin بسيقابه Psiqabe شيبس çips ، تلي Tli ، أزيبس Azips أنتيخر Antihir ، بوغونذير Bivuindir ، آبين Abin Anin ، أوف Uef ، قواف Quaf ، تشه بك Kebek ، ساتاصشا Satacze ساغتا Savte جينز Ginz ووبيغ Uibiv وولقابس Uilveps كوتشباب Kuikbab خابل Kbabl وفي وادي بسيظوي Psizhuiy جنوبي سلسلة قفقاسيا .

وكانت هذه القبيلة بالاتحاد مع قبيلة ناتخواج تؤلف جبهة قوية ضد الاستيلاء الروسي .

بظه دوغ (Bzhediv) :

كانت هذه القبيلة تشغل المنطقة الواقعة شرقي الشابوغ مابين نهر بسيص

(Psic) المار من قرية يده بسيقواي (Yedepsiquay) ونهر مارت (Mart) ونهر بجناص (Pkzac) حيث تقوم قريتا بونا جقواي (Ponegqkuay) وحه جه حابلا (Gegehable) ونهر بصه قوبس (Pcequips) عند قريتي حاتيقواي (Hatiquay) ولا قاشقواي (Laqeçquay) وانهر كه بي (Kebiy) ونه بات (uinebat) وصوب (Cuib) ، وعلى الضفة الشمالية لنهر القوبان قبل اشغالها من قبل القوزاق وتتألف هذه القبيلة من فرعين : كركه ناي ، وخمشاي ويؤلف البطه دوغ مع الكيمر كوي أكثرية من بقي في شركسيا بعد الاستيلاء الروسي .

حاتيقواي (Hatiyquay) :

كانت هذه القبيلة تقطن مابين نهري صحاكواشا (cheguaçe) وبسيب (Psip) وكانت حدودها تصل الى حوض نهر آقيبس (Afips) ووبين (Uibin) ، فيل (Vil) تلي (Tli) وانضم قسم من الحاتقواي الى قبائل الشابسوغ والناتخواج والكيمركوي ، ولا يستبعد أن تكون قبيلة حاتقوا المار ذكرها فرعاً من الحاتقواي .

كيمركوي (Kzemirgaey) **أوجثه مكوي** (Kzemguiy) :

كانت منطقة هذه القبيلة تقع شرقي الحاتقواي بين نهر القوبان ونهري لابا وصحاكواشه وعلى ضفاف أنهر بسناسوك (Psinetszikzu) كياغا (Xiave) أول (zuil) فارز (Farz) دزاكو (Dzagu) تشوقراج (Tcueqrag) وتتصل بمنطقة الموخوش عند قرية جيرافي على نهر آريم Arim

وتعد القبائل الثلاثة : آده مه ي (Ademey) ويه جرقواي (Yegergway) وكيراي (Giray) من فروع الكيمركوي .

آبازاك (Abzax) :

كان الآبازاك يسكنون حوض نهر شحه كواشا (Cheguaçe) وروافده كورجيبس (Kuirgips) بشه حا (Pçeha) بخه تس (Pkhets) تفي حبس ، (Tficeps) وحوض نهر لابا وروافده بسيظوى (Psizhuiy) شكوبسين (Ceguipsin) حاغور (Hevuir) فارز (Farz) وحوض نهر بسيص (Psic) وروافده مارت (Mart) ،

بجثاص (Pçwas) وحوض نهر بسه قوبس (Pcequips) وروافده ، وديص (Dic) اتساك Tsak تشيبي (Kibiy) وحوضي نهر وونه بات (uinebat) وصوب cuip) وقد اشتهروا بصنع المعادن واستثمروا مناجم حديد وادي بجثاص ورصاص وادي كورجيبس ولعبت هذه القبيلة الديمقراطية دوراً هاماً في الحرب الروسية الشركسية فهي أكثر قبيلة من الجثاك عددا .

موخوس (Mekhuec) :

كان الموخوص يسكنون في جنوب شرقي الكيمركوي حيث تسير أنهار شمبلوناخه (Cimblonakhe) وتشوقراج (Tcueqrag) وبسيفير (Psifir) المار من قريتي مربه ري (Merberiy) وكورغو قواي (Kuirvoquay) ونهر بصه قوبس المار من قرى بوناقو (Piunaque) وقالخ (Qalkh) وآريم (Arim) وتعتبر عائلة بوغارسيقو (Bovarsique) من هذه القبيلة .

بسلني (Besleney) :

كان البسلني يقيمون شرقي الأبازاك في وادي نهر وووروب (Uirip) وعلى ضفاف أنهر لابا الكبير ولابا الصغير وخوتس (Khuets) وبسيفير .

وقد اشتهروا بالأناقة والجمال والفروسية وقد كان جمال اميرات عائلة قانوقو (Qanique) سببا لمبارزات بين أمراء الشركس في الماضي .

آغوي (Avuey) :

كانت هذه القبيلة تقطن جنوب قبيلة الناتخواج على ساحل البحر الأسود وهي معروفة أيضا باسم حاكوتش (Hekwuitcu)

الصحاغ :

لا يحوي فرع الصحاغ سوى قبيلة واحدة . وهي القبرده ي (Qeberdey أكثر قبائل الاديغه عددا . وتقطن هذه القبيلة في ثلاث مناطق : سهل قباردا المسمى قباردا الكبير (Qeberdey) ومنطقة مزدوق (Mezdegu) المسماة قباردا الصغير (Jilakhsteney) ووادي زلنجوق المسمى حجرت (Hegret Zelengiqu) ويقطع قباردا

الكبير أنهر تشه كم (Kegem) وباقسان (Baqsan) ومالقا (Malqa) وبودوقوموق (Piudquimiqu) وقوما (Quima) ، ويمر من قباردا الصغير نهر الترك ومن منطقة حجرت نهر زلنجوق .

كانت قفقاسيا كلها تحت سيطرة ونفوذ القبردي مدة ثلاثة قرون (من القرن الخامس عشر وحتى الثامن عشر ميلادية) وهم الذين قادوا الحرب الروسية القفقاسية في أولها حتى تغلب الروس عليهم في أوائل القرن التاسع عشر لسهولة اقتحام بلادهم المفتوحة .

الابخاز

للانجاز فرعان : أبازه (Abaze) وآزغه (Azve)

الابازه :

يسمون أنفسهم أشوه (Açue) وينقسمون الى القبائل التالية :

تابانتا (Tapanta) اوباسقه (Basque) وهي قبيلة تسكن حول منابع نهر القوبان ونهري زلنجوق الكبير وزلنجوق الصغير ، وكانت تصل سابقا الى حوض نهر قوما وحوض نهر بورقوموق .

باشيلباي (Baçilbay) في أدوية نهري ووروب وزلنجوق الأعلى مه دوا (Medua) على ضفوف نهر لابا الأعلى بجوار الابزاخ .

ولها الفروع الخمسة التالية :

١ ـ قازيلبك (Qazilbeg) حول ينابيع نهري لابا من منطقة البسلني حتى البحر الأسود .

٢ ـ شجره ي (Cegrey) في حوص لابا الصغير .

٣ ـ حاييبقو (Haybique) بجوار شجره ي .

٤ ـ سيدي (Sediy) بجوار الحاييبقو .

٥ ـ باغ (Bav) على القسم العلوي من نهر فادز (Fadz) .

تام (Tam) على ضفاف نهر لابا الكبير الأعلى ونهر ووروب .

كوجو (Kuijiu) في المنطقة ذاتها .
جه جه ن (Gegen) بجوار الكوجو
برزنديك Berzndig) فوق الجه جه ن .
جالداشقو (Galdçque) بجوار البرزنديك .
سارابي (Sarapi) بين وديان الابا الكبير وورو ب .
بساغار حاكوجه (Psararhakuige) قرب السارابي .
براقه ي (Biraqey) حول نهري كوبس (Guips) وفادز .
طوبي (Twuibiy) قرب ينابيع شحاكواشا وبشه حا .
حاجيبسي (Hakipsi) قرب الأوبيك .
سيسي بشيره (Sisipçire) غرب السارابي .
أناغي مكوا Anavi Mgua بالقرب من سيسي بشيره .
شاشي (Caçiy) جنوبي الاوبيك على ساحل البحر الأسود .
قوصحاجانا (Quiche-Jane) قرب نهر لابا الصغير .

*** القبائل الساحلية : ـ عدة قبائل صغيرة على البحر الأسود**

- نالكوبي ماجوا Nalkuipi-Magaua
- ايبسيب Ipsip
- آراتخواس Aratkhuas
- تالكو Talkue
- كوبيخان Kuibikhan

٢ ـ الأزغه :

يسمى الازغه أنفسهم أبسوده (Apsoui) ولهم القبائل الاساسية التالية :

- بزيبه (Bzipe) جنوبي الاوبيك
- اخيبسه (Akhipse) من مدينة صوخوم وحتى مدينة قاباتي .
- آيبغا (Aybve) على نهر قودور Quedor
- زامبال (Zambal) في أودية قودور ودال .

- خيربس (Khirpis) غربي السـوان .
- تشاجي (Kajiy) حول نهري آغير ومارماد .
- سادزه (Sadze) على نهر اونخوم (uekhuim)

الاوبيك

يسمـي الأوبيك أنفسهـم بخ (Pekh) ، وتقـع بلادهـم على منابـع نهـري صحاكواشه وبشه ـحا وعلى ساحل البحر الأسود مابين الناتخواج والأبازاك والآغوي شمالا والأبازه جنوبيا .

وتسقي منطقتهم أنهر ظوبزه (Zhuebze) ولون (Lon) ونيفـه (Nive) وباتـخ (Batkh) ودكومبس (Daguimeps) وبسيخ (Psikh) وصاخه (Saxe) .

واشتهر الاوبيك بمقاومتهم العنيدة ضد الاستيلاء الروسي وهاجـر من بقـي منهم الى تركيا بعد الاستيلاء الروسي .

الفصل الأول

اللغة الشركسية

رأينا في فصل اللغات القفقـاسية بأن اللغـة الشركسية هي فرع من لغـات قفقاسيا الشمالية وأن اللغات القفقاسية تؤلف مجموعة لغـات مستقلـة عن الآرية والسامية والطورانية ومعروفة باسم اللغات القفقاسية (Langues Caucasiques) . وهي شبيهة باللغة الباسكية الحالية في جبال البيرنه واللغة الأتروسكيه القديمة شمالي ايطاليا ولغات عديدة استخدمت قديمة في آسيا الصغرى في العراق وشمال سوريا مثل الحثية والميتانية والقاسية والسومرية والعيلامية .

وينقسم الفرع الشركسي من لغات قفقاسيا الى ثلاث لغات قريبة من وبعضها وهي : الاديغه والابازه الوبك ويتكلم الاديغه والأبازه الآن اكثر من مليون نسمة في قفقاسيا وبلاد المهجر .

أما الاوبيكيه فلم تعد مستعملة بسبب هجرة من بقي منهم الى تركيا وتركهم لغتهم الأصلية . وينحصر بحثنا باللغة الآديغية المعروفة بالشركسية (Adiwa-bze) .

الكتابة والأدب

لم تكتب اللغة الشركسية الا حديثاً ، أي في أواخر القرن السابق حيث ظهرت في قفقاسيا بعض الكتابات الشركسية بالأحرف الروسية ، ثم في تركيا في أوائل هذا العصر بالأحرف العربية أولا وبالأحرف اللاتينية بعد ذلك وكانت الكتابات في تركيا عبارة عن كتب هجائية ونحوية مع بعض القصص والأشعار لتعليم الأولاد ألفها .

ألفها السيد محمد علي بجيحا لوقه وتيمه سيين وهارون باتوق وعمر حلمي تسيي وغيرهم .

وصدرت جريدتان في المهجر في أوقات مختلفة :
جريدة غوازه (Vuaze) في الاستانه قبل الحرب العالمية الأولى .
وجريدة مارج (Marg) في القنيطرة (سوريا) من عام ١٩٢٧ حتى عام ١٩٣٢ .

وتأسست أيضا مدرستان في المهجر : احداهما للبنات في الاستانه قديما والثانية للبنين والبنات في القنيطرة .

الى هنا أيها القارىء الكريم تنتهي الصفحات التي عثرنا عليها . ولما كان قد وردت اشارات الى الأبجدية الاصطلاحية التي وضعت في القنيطرة ووجوب قراءة

---

(١) للغة الشركسية لهجتان :
ـ لهجة (جثاك) ولهجة (قبردى) ويوجد بعض الاختلافات في اللفظ بين قبائل الجثاك ولكنها ليست اختلافات أساسية تتعلق بقواعد اللغة فهي مجرد لهجات واللغة واحدة عند الجميع .
لذلك عندما نورد هنا الأسئلة بلهجة (آبازاك) فهذه الأمثلة تكون صحيحة لغوياً ونحوياً عند الجميع .

الكلمات الشركسية بها لحسن نطقها . فقد تمكنا بعد سؤال الـذين يذكرون تلك الأبجدية من تثبيتها على النحو التالي :

أبجدية المدرسة الشركسية وجريدة مارج
القنيطرة - ١٩٢٧

A	LLo
E	M
B	N
W	V
GH	P
QHU	PO
G	R
GU	S
D	T
DJ	To
DZ	U
YE	F
J	Fo

JH	X
Z	Xu
Y	H
Q	XH
Qu	XHu
Qo	Ts
Qou	Tso
k	Tc
ku	c
Kxu	sso
L	I
LL	o
	ou

1	2	3	4	5	6	7	8	9
м	*м*	м	م	m	m	m	м	m
н	*н*	н	ڽ	n	n	n	н	n
о	*о*	ey,o	ۆ	eu,o	eu	o	o	o
п	*п*	п	پ	p	p	p	п	p
п̂	*п*	п̇	ٮ	ph	p,py	ҏ	п!	p̣
р	*р*	р	ر	r	r	r	р	r
с	*с*	с	س	s	s	s	с	s
т	*т*	т	ت	t	ɩ	t	т	ṭ
т̂	*т*	т̇	ط	th	t,ty	ṭ	тl	ṭ
у	*у*	у	و	u	əu	u	у	u
у	*у*	у	ۉ	u	u	v	у	w
ф	*ф*	ф	ڤ	f	f	f	ф	f
ф̂	*β*	ф̇	ڡ	fh	f,fy	ḟ	фl	ḟ
х	*х*	х	ځ	x	x	x	x	x̃
ху	*ху*	ху	خو	xu	x̥	xv	xy	xõ
ẋ	*ẋ*	ẋ	خ	x̌	x	x	xı	x
ẋу	*ẋу*	ẋу	خو	ẋu	x̥	xv	xъy	xo
х̂	*h*	h̲,ɦ	ح	ɦ	h	ɦ	xь	h
ц	*ц*	ц	ث	c	c	c	ц̲	c
ц̂	*ц̂*	ц̇	ژ	ç	c,cy	ç	ц̲l	c̣
ч	–	–	–	–	–	ч	ч	ċ
к̇, ч̂	*к*	к̇,кꞩ	ڸ	ķ	k,ky	ķ	кl	ç̌
ш	*ш*	ш	ش	š	ʃ	ş	ш	ṡ
ш̂	*ç*	ç	ص	ş	ç	7	щ̲	ş,ʾ
ш̇	*ш̇*	ç̇	ض	ch	ç,çy	⁊	щ̲l	s,ʾ
ы,и	*г*	ы	ɵ,ɤ	y	ɵ,Ǝ	ь	ы	λo
ю	*jу*	jу	يو	ju	ıu	ju	ю	ju
я	*ja*	ja	يا	ja	ıa	ja	я	ja
ʼ	,	ʼ	ء, ئ	؍	y	ħ	l	ʼ
у́	*у́*	ʼy	ۇٔ	ù	v	ħv	ly	ʼo
–	*ɣ*	ɣ	ع	h	–	h	гъʼ	ω

АДЫГЭБЗЭМ ХУЗЭХАЛЪХЬА АЛФАВИТХЭР

Нэгумэм зэхилъхьар	ХьэтIохъу-щокъуэм зэхилъхьар	Академи-ческэ алфа-витыр	Щагъуэм зэхилъхьар	Хъураным зэхилъхьар	Яковлевым зэхилъхьар	1930—1936 гъэхэм щыIар	Иджырей алфавитыр	Кавказы-бзэхэм пап-щIэ транск-рипцэр
1	2	3	4	5	6	7	8	9
а	*а*	а	ا	a	a,A	a	а	a
е,һ	*ɑ*	е	o	e	e,E	e	э	ă
б	*б*	б	ب	b	b	в	б	b
в	*в*	в	ڤ	v	w	w	в	v
г	*ɀ*	ђ	گ	ʂ	ƽ	ƽ	г	ĝ
г	*г*	г	گ	g	—	—	гь	g
гу	*гу*	гу	گو	gu	g.	gv	гу	go
ġ	*ğ*	ҕ	غ	ƽ	J	ɋ	гъ	γ
ġу	*ğу*	ҕу	غو	ƽu	J.	ɋv	гъу	γo
д	*д*	д	د	d	d	d	д	d
дж	—	џ	گ	g	g	g	дж	ǯ
е,ıe	*je, e*	je,ej	ى°	je,ej	eı,ıe	je,ej	е	jă
ж	*ж*	ж	ژ	ž	7	ƶ	ж	ž
ӂ	*z*	ʒ	ڟ	ʐ	ʐ	ʐ	жь	ʐ
з	*з*	з	ز	z	z	z	з	z
ȝ	*ȝ*	ʒ	ذ	ʒ	ʒ	ʒ	дз	ʒ
и	*i*	i	ى	i	əı	i	и	i
и,і	*j*	j	ى	j	ı	j	й	j
к	*ķ*	к	ك	k	k	k	к	k
ку	*ķу*	ку	كو	ku	k.	kv	ку	ko
ќу	*ку*	ќу	كو	ķu	k.,ky	ķv	кIу	ķo
ӄ	*q*	k	ق	q	q	q	къ	q
ӄу	*qу*	ķу	قو	qu	q.	qv	къу	qo
ӄ̂	*q̈*	k̇	ڨ	qh	q,qy	q	кхъ	q
ӄ̂у	*q̈у*	k̇у	ڨو	qhu	q.,q.y	qv	кхъу	qo
л	*л*	l,л	ل	l	l	l	λ	l
л̂	*ľ*	љ	ل	ļ	ļ	ļ	λъ	ĭ
л̇	*ľ*	љ	ل	lh	l,ly	ɫ	λl	ļ

ط، ، الأطلس الصغير

موسكو

احد مصادر الكتاب

المرجع أو المصدر :

تاريخ الكتابة الأديغية .

١ ـ أبجدية نوغمه

٢ ـ ابجدية حاطوخوش

٣ ـ الأبجدية الاكاديمية

٤ ـ ابجدية تساغوه

٥ ـ ابجدية خوران

٦ ـ ابجدية ياكوفليف

٧ ـ الأبجدية التي استعملت خلال فترة ١٩٣٠ ـ ١٩٣٦

٨ ـ الأبجدية الحالية

٩ ـ التعبير بالرموز الصوفية من أجل اللغات القفقاسية .

الشراكسة في حروبهم ضد القياصرة

(مقتطفات من أقوال المؤرخين)

بقلم
أمين سمكوغ

مقدمة

ذهبت الى القنيطرة لتقديم التعزية الواجبة لأقرباء البطل الشهيد جواد آنزور وأقرباء سائر الشهداء الأبرار الذين سفكوا دماءهم الطاهرة دفاعاً عن الأرض المقدسة ، واجتمعت هناك بنخبة من الضباط الشركس الأشاوس الذين أبلوا بلاء حسناً في مختلف معارك فلسطين واستبسلوا في الدفاع عن عروبتها .

طلب مني الضباط أن أكتب شيئاً عن الحروب الشركسية الروسية في العصر الماضي وعن بطولة آبائهم الأمجاد في الدفاع عن وطنهم ليبقى مثالاً عالياً لديهم يقتدون به وذكرى غالية تتغذى منها أرواحهم .

فكتبت نزولا عند هذه الرغبة المؤثرة الصفحات التالية حيث سردت أقوال كتاب الأجانب ومشاهداتهم في الموضوع .

١٠/ آب/ ١٩٤٨

أمين سمكوغ

استيلاء الروس على قفقاسيا

عندما تبوأت كاترينا الثانية عرش القياصرة بروسيا (١٧٦٣) وصممت على تنفيذ خطة بطرس الكبير لبعث الامبراطورية الشرقية والوصول الى الاستانة والبحر الأبيض المتوسط ، بدأت جيوشها تتحرش بالأتراك وبأتباعهم أمراء القرم . وبينما كانت الجيوش الروسية تحرز الانتصار فوق الانتصار والامبراطورة الجبارة تملي شروطها على الأتراك في معاهدتي كوجاك فاينارجه (١٧٧٤) واستانبول (١٧٨٣) ، يصطدم المشروع الروسي الخطير بمانع قوي مفاجىء وغير منتظر تتوقف الجحافل الروسية الظافرة في شبه جزيرة القرم والسهول الشمالية أمام مقاومة القفقاسيين العنيفة التي تدهش الموسكوفيين وتجلب أنظار العالم الاوربي المهدد بالخطر الروسي . لم يشترك كل القفقاسيين في هذه المقاومة والحروب الدفاعية المجيدة التي دامت قرنا كاملا (١٧٦٣ ـ ١٨٦٤) . ووقف القفقاسيون الجنوبيون المسيحيون من كرج وأرمن بجانب الروس منذ ابتداء المعارك وفتحوا لهم أبواب بلادهم ، وأما القفقاسيون الشماليون الذين كانوا يتألفون من شعبين أخويين شهيرين بالصفات العسكرية الرفيعة وهما الشراكسة في الغرب والداغستان في الشرق ، هم الذين قاموا وحدهم بهذا الدفاع المجيد .

دامت مقاومة الشراكسة من يوم ارتقاء كاترينا الثانية عرش روسيا (١٧٦٣) الى عام ١٨٦٤ ، انتهت باستشهاد أكثر من نصف مجموعهم الذي لم يكن يتجاوز المليونين [1] وبهجرة أربعة أخماس الباقين في قيد الحياة الى الأيالات التركية في أوربا

---

(١) يقدر المؤرخون عدد الشراكسة في أوائل الحرب الروسي ـ القفقاسي من مليون ونصف الى مليونين . وكان الشراكسة وقتئذ يشغلون الموقع الأول ، سياسياً وعسكرياً فيما بين شعوب قفقاسيا حيث كانوا قد نشروا مدنيتهم وعاداتهم وزيهم القومي منذ القرن الرابع عشر الميلادي . وكانت كلمتا «شركس وقفقاسيا» كلمتين مترادفتين عند اكثر المؤلفين .

وآسيا ، ودامت مقاومة الداغستانيين التي كانت قد بلغت أوجها في زمن بطلهم الشهير الشيخ شامل الى حين أسر هذا البطل من قبل الروس في عام ١٨٥٩ .

أقوال المؤرخين في الشراكسة وفي دفاعهم المجيد عن وطنهم .

اهتم العالم الأوربي بهذه المقاومة الطويلة العجيبة من قبل شعب صغير ضد أكبر امبراطورية في أوربا ، اهتماما بالغا ، وكتب علماؤه مؤلفات عديدة ومقالات لا تحصى بجميع اللغات في القرن الماضي عن سر هذه المقاومة وعن حياة وصفات الشراكسة القائمين بها نقتطف منها بعض الفقرات التي تبين لنا أهمية الوراثة وتأثيرها العظيم في تكون صفات الانسان المعنوية ، تأثير يخف ثم يتلاشى بمرور الزمن تحت عوامل اجتماعية وجغرافية .. الخ .

وجدير بالذكر بأن جميع هؤلاء الكتاب يعلقون عند تحليلهم الخصائل الحربية لدى الشراكسة أهمية كبرى لتربيتهم العالية وشعورهم الرفيع ليبينوا الفرق مابين الصفات الحربية الهمجية التي كانت تتصف بها جيوش جنكيز خان وتيمورلنك وبين الخصائل الحربية المرفقة بالنبالة والشعور الانساني . وفيما يلي أقوال كتاب الغرب عن الشراكسة :

كتاب
(سياحة في الحكومات الجنوبية للامبراطورية الروسية)
في سنتي ١٧٩٣ و ١٧٩٤
للبروفسور الألماني بالاس[1] π☆YY☆☐

يعتبر بالاس الشراكسة فرسانا (cheval'ers) يتبعون فيما بينهم ونحو أتباعهم نظاما فه ئوداليا [2] تاماً يشبه النظام الذي كان الألمان قد أدخلوه الى بروسيا ويقول : «لايتحمل هذا العرق الشجاع ذو التشكيلات الآريستوقراطية والشهير بالفروسية النير الأجنبي مهما كان نوعه ، ذلك هو السبب لحروبه الدفاعية ضد أمراء القرم أولا وضد الروس بعده .

وبصفته صديقا لكاترينا الثانية يضيف :

ومن المستحسن إذاً أن تجعلي من أفراد هذا الشعب أتباعاً مطيعين للامبراطورية الروسية بدون أن تقللي من قيمتهم المحيرة ، وسوف تملكين عندئذ بدون اعتراض أبسل وأدهش خيالة خفيفة شوهدت في ساحة الحرب بزمن من الأزمان .

لم يتحقق هذا التمني للبروفسور الألماني واضطر الروس لمحاربة الشراكسة مدة سبعين سنة أخرى من بعده بدون أن يتمكنوا من جعلهم أتباعا لهم .

كتاب
(سياحة حول قفقاسيا في بلاد الشراكسة والابحاز)
نشر بباريز سنة ١٨٣٩
للعالم الافرنسي دوبوا دومون برو Dubois de montpereux

(١) الترجمة الافرنسية من قبل Tonnellier, Delaboulaye باريز ، عام ١٨٠٥ ، ص ٤١٥ ـ ٤٥٧ .

(٢) نظام حكم الاشراف للقرون الوسطى (Feodalitée)

يبحث هذا العالم عن الشراكسة وعن تاريخهم وحياتهم وحروبهم الخ بصورة مفصلة ويقول عن حياتهم الاجتماعية العبارات الآتية :

ان حالة شركسيا الحاضرة تعطينا فكرة عن جرمانيا القديمة وعن فرنسا تحت حكم ملوكها الأولين . فهي مثال للأرستوقراطية الفه ئودالية ذات الفروسية اللامعة للقرون الوسطى وهي ارستوقراطية يونان القديم المشبعة بالبطولة . وروح الطبقات فيها قاسية كما كانت في ألمانيا وفرنسا قديماً . فإن الأمراء (بشي) ، والنبلاء (لاقوش) ، والنبلاء الحديثين (ورق) ، والأحرار (فوقول) والعبيد أي أسرى الحرب (بشيل) ، يؤلفون خمس طبقات معينة تعييناً تاماً . ولا تختلف الطبقات الأربع الأولى عن بعضها من حيث اللبس والحياة العائلية وحتى تسري فيما بينها المساواة التامة حيث لا يشعر نفوذ الأمير والنبلاء . فهذا النفوذ هو نفوذ اعتماد واقناع . وتقوم السلطة وفقاً للعادات القومية (خابزه) (٣) .

كتاب
(جورنال لاقامة في شركسيا في سنوات ١٨٣٧ و١٨٣٨ و ١٩٣٩)
للعالم الانكليزي جمس ستانيسلاس بل (١) James stanislas Bell

دون المستر بل جميع مشاهداته عن الحياة الشركسية والعادات والحروب الخ يومياً في كتابه ذاكراً التواريخ وأسماء المواقع والأشخاص مما جعل لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة . ويقول عن التربية الشركسية :

بعد كل هذه المشاهدات ، يحملني شعوري على اعتبار الشراكسة بمجموعهم كأهذب شعب رأيته في حياتي أو قرأت عنه شيئاً (٢) .

---

(٣) ص ٢٠٨ ، ج١

(١) الترجمة الافرنسية من قبل (Louis Vivien) باريز ١٨٤١

(٢) ص ٧٢ ، ج٢

يتفق العالم الفرنسي الشهير ئه ليزه ركاو Eilsée Reclus مع المستر بل في الرأي عن التربية الشركسية ويكتب في الصحيفة (١٠٥) من المجلد السادس من كتابه المسمى جغرافيا العالمية ←

وفي كل صفحة من صفحات كتاب المستر بل المؤلف من مجلدين كبيرين وصف رائع للصفات الحربية الرفيعة والبطولة النادرة المتحلية بها الشراكة بالأسماء والتواريخ نقتطف منها الأمثلة التالية :

ان السر في مقاومة الشراكسة ضد الروس كل هذه المدة الطويلة رغم عدم وجود تشكيلات عامة لديهم أو واسطة أخرى لجمع قواتهم الحية ضد الاستيلاء ، هو هذا الشعور بالواجبات الاجتماعية التي يشعرها بقوة فائقة كل فرد من أفرادهم وهذه المنافسة القائمة فيما بينهم في سبيل البطولة والشجاعة ، بطولة لا تقف عند اضعاف قوى الأعداء وتوقيفهم عند حدهم وحسب بل تنبعث من رمادها نخبة جديدة من الأبطال .

ذهب باتوق حاتو (أحد نبلاء منطقة شابسوغ الشمالية) ومعه تسعة أشخاص لأجل التسلية والصيد الى المنطقة الواقعة جنوبي نهر القوبان المغطاة بأشجار القصب ، وهي منطقة خطرة جدا . وبعد صيد (٣٠-٤٠) رأسا من الوعل في اليومين الأوليين خرجوا في صباح اليوم الثالث لاستئناف الصيد . كان حاتو ورفيق له قد ابتعدا عن رفاقهم مسافة كبيرة أثناء الصيد عندما صادفا فجأة قطعة عسكرية روسية مؤلفة من (٥٠) نفر مشاة و (٣٠٠) قوزاق من فرقة الخيالة كانوا قد أرسلوا الى الضفة الجنوبية من النهر للقبض على الصيادين .

ابتدأ الرفيقان بالانسحاب رويدا رويدا يطلقان النار من بندقيتهما كلما وصلا الى موقع مناسب حتى نفذ صبر الضابطين الذين كانا مع القطعة وهما يشاهدان رجالهما يقعون الواحد تلو الآخر وتقربا بسرعة على رأس القوزاق ، ولكنهما قتلا فورا مما برد حرارة القوزاق وجعل المشاة يلتجئون الى القيام بحركة التفاف حول الصيادين . توقف الشركسيان عندئذ عن السير وأسند كل منهما ظهره الى الاخر

Georaphie Universelle مايلي :

(وبسبب هذه العناية في تربية الناشئة كان الشراكسة أهذب شعب على وجه البسيطة) .

وبدا بحشي بندقيتيهما وتفريغهما على الأعداء قاتلين في كل طلقة واحدا منهم . وأخيراً نفذت الذخيرة الموجودة لديهما بعد معركة استمرت عدة ساعات جرح أثناءها رفيق حاتو جرحاً بليغاً . فينصح الجريح عندئذ حاتو أن يتركه وشأنه ويفر ، ولكن حاتو يرفض هذا الحل . وبعد ذلك تقرب الروس نحوهما ولكنهم بقوا مدة واقفين خارج دائرة عمل القاما واليد ولا يجرؤ ون على القبض عليهما . وأخيراً وقع الرفيقان بالأسر . وبعد أشهر عادا إلى وطنهما بالتبادل مع أسرى الروس . كان عدد القتلى من الروس سبعة عشر قتيلاً ما عدا المجاريح في هذه المعركة حيث تتفوق البندقية القديمة على الموسكه وتشاهد قطعة كبيرة روسية تتردد من التقرب من شركسيين بدون ذخيرة [1]

وعند سرده حادثة مفاجأة السفن الحربية الروسية بتاريخ ١٥ مايس ١٨٣٩ على بلدة صاخا (صوتشي الحالية) في الساحل الشركسي ، وبحثه عن المعركة الدامية التي وقعت ما بين فئة قليلة من الشراكسة والقوة العسكرية الروسية المؤلفة من ١٢ ألف مقاتل مجهزين بالآلات الحديثة والمدافع ، وعن استشهاد أكثر مقاتلي الشركس بينهم (٥٠) نبيلا من الشخصيات البارزة ذكاء وشجاعة يقول المستر بل :

رمى آسلان بك أمير صاخة بندقيته وصاح ساحبا سيفه : ياالهي أعرف بأنني عاجلا أم آجلا سوف أموت ، فهبني الان هذا الموت ، وهجم على العدو يتبعه أخوه فقتل الاثنان جسماهما مثقوبان بالرصاص .

وهذا ليس الا مثالا لكثيرمن أمثاله في هذه الوقعة الرهيبة [2] .

ان كتاب المستر بل ملآن بأمثلة البطولة من هذا النوع ، نداوم على ذكر البعض منها :

---

(١) ج٢، ص ١٩٠

(٢) ج٢، ص ٢٢٥

وبعد قليل ، لحق بنا شاب يمتاز حتى ما بين مواطنيه بحيويته وخفة حركاته . وهو الذي أخذ وحده علماً روسياً وأسر خمسة جنود من الروس قبل بضعة أيام . رأيت منه ، عدا عن قيادته حصانه قيادة محكمة واطلاق الرصاص من بندقيته على قلبق موضوع على الأرض بينما حصانه يعدو ، مهارة لم أشاهدها حتى الآن : يقفز عن حصانه المغير على الأرض ويحشي بندقيته ويسحب سيفه ثم يعود قافزا على السرج وكل ذلك في آن واحد . إذا كان جنود الروس هنا لا يتفوقون على الذين رأيت منهم في سباستوبول وغيرها فهم ليسوا إلا أولاداً صغاراً بدون شك تجاه عمومية الشراكسة [٣] .

يذهب زه بش (فوقول من منطقة خوخوي) إلى الحرب دائماً مع أولاده الخمسة (استشهد السادس منذ وقت قريب في الحرب ما وراء القوبان) . وبالأمس أمر الكبير منهم أن يتمرن وحده ويهاجم خفيرين من القوزاق كانا في نقطة أمامية للخط الروسي فقتل الشاب أحدهما وأسر الثاني . وفي السنة الماضية اشتبك زه بش وحده مع عشرين روسياً كانوا يقودون علي بك أمير اوزق (منطقة ناتخوادج) الذي كان وقع في الأسر وفي جسمه سبعة جروح خطيرة . تعقبهم زه بش ، وفي فرصة مناسبة هجم عليهم وقتل اكثرهم وجرح الباقين ، ثم أردف وراءه علي بك وعاد به [٤] .

وفي المساء عندما كنا جالسين على مصطبة مقامة أمام المضافة (قرب بشات من ناتخوادج) جاءنا اثنان من الموسيقيين مع كل واحد منهما كمان شركسي وغنيا لنا أغنيتين . موضوع الواحدة منهما : مناقب شاب استشهد في الحرب مساء يوم زواجه ، والثانية تتعلق بالمحارب جوراط قوحامز (فوقول من ناتخوادج) الخطيب اللامع والمتكلم الحماسي في اجتماع يوم الاثنين الماضي الذي كان قد جرح في العام الماضي في حرب ضروس ضد الروس حيث استشهد اخوته الأربعة وأولاده الأربعة [١] .

---

(٣) ج١ ، ص ١٢٧

(٤) ج١ ، ص ٢٢١

(١) ج١ ، ص ١٣٤

أخبرنا العائدون من بشات بأن شروخ فوتوغوط وجانبولت (من نبلاء ناتخوادج) من أشهر المحاربين هجما وحدهما على قطعة عسكرية مؤلفة من (٥٠٠) جندي روسي وألقيا الذعر في صفوفهم قاتلين كثيراً منهم وعادا سالمين .

تتغلب هاتان المنطقتان (شابسوغ وناتخوادج) منذ عشرات السنين على قوات أوسع وأظلم وأقل أمانة امبراطورية في أوربا التي عدا عن ذلك تملك الفنون الحربية التي وصلت اليها اوربا الحديثة . ومن جهة ثانية لا تتساوى التضحية عند الطرفين : ان الرؤساء وزهرة البلاد هم الذين يقعون في هذه المناطق تحت ضربات الحديد الروسي والرصاصات الروسية بينما الروس بامكانهم أن يرسلوا في مدة ست سنوات أخرى ألوفا من البولونيين الذين يريدون التخلص منهم أو مواطنيهم العبيد الذين لا يعتبرونهم إلا آلة حرب (٢) .

داوم الروس على ارسال عبيدهم (٢٥) سنة أخرى بدلا من الست سنوات المقدرة من قبل بل وداوم الشراكسة على تضحياتهم الغالية كل هذه المدة .

كتاب
«قفقاسيا وبلاد القوزاق نشر في لايبزيغ في عام ١٨٤٨»
للعالم الألماني موريتز فاغنر (٣) Moritz Vagner

كثيراً مايمتدح فاغنر بطولة الشراكسة وشهامتهم رغم ميله السياسي للروس . ويقول عند وصفه فارسا شركسيا :

عندما شاهدت هذا الحد من النبالة متحدا مع هذه الدرجة من الشجاعة لديه كنت اتخيل بأنني أمام أحد هؤلاء الأبطال سيد كامبا يادور (Cib Campeador) (٤) أو

(٢) ج١، ص ١٣٨
(٣) مجلة العالمين ، باريز ١ تشرين الثاني ١٨٥٣ ، ص ٤٢٦
(٤) البطل الاسباني المعروف

فرانـاس سيكنجـن (Frantz Sikkingen) [٥] أو شوفـاليه دويـايا [٦] (Chevalier de Bayar) ويذكر الحكاية التالية التي تظهر رفعة الشعور عند الشراكسة نختصرها فيما يلي :

(آرتي مولا) أحد رؤساء الشراكسة يقع أسيراً عند الروس وهـو جريح . وبعد مداواته من قبل طبيب روسي واسترجاع صحته يفر من معتقله الواقع شمالي نهر القوبان ، ويقطع هذا النهر سابحاً فيعود إلى وطنه. وبعد سنتين من هذا الحادث يقرر الشراكسة الهجوم على المعتقل وهو قلعة عسكرية . يرسل (آتي مولا) ابنه الى هذه القلعة وبحيلة ماهرة يتمكن الشاب من سحب الطبيب منها وجلبه الى منطقة شركسية في نهار مساء الهجوم . يستقبل (آرتـي مولا) ورؤساء آخـرون الـطبيب بحفاوة عظيمة ويكرمونه اكراماً بالغـاً . وفي الليل يحصـل الهجـوم الشركسي على القلعة فتمحى ويباد من فيها . وفي اليوم الثاني يعاد الطبيب الى الحدود الـروسية ومعه هدايا كثيرة وحصان أصيل وامرأة قوزاق وقعت في أسر الشراكسة ليلة الهجوم وهي زوجة أحد أتباعه .

مقالة
(حرب القفقاس) نشرت في (مجلـة العـالمين) باريز : ١ تشرين الثانـي ١٨٥٣
للاستاذ تاياندرية من المجمع العلمي الافرنسي [١]

وفيما يلي أقوال الاستاذ تايا ندرية عن الشراكسة :

يجعل السياسي الانـكليزي دافيد اوركارت (David Urquart) من الشركسي

(٥) البطل الألماني الشهير

(٦) البطل الافرنسي الملقب (الفارس الذي لا يهاب والذي لا شائبة به) اشتهر في زمن شارل الثامن وفرانسوا الأول .

(١) La guerre du Caucase, Par S.R. Taillandrier, Revue Des Deux Mondes, Paris I-Novembre-1853 ص ٤١٤ ـ ٤٢٣

المثل الأعلى للانسان عندما يقول : الشركسي جسور كالجبلي وجنتلمان كالانكليزي ومعصوم كالولد . ولا يستبعد ان يكون للسياسة نصيبها في هذا التقدير للمستر أوركارت ، لأنه يعتبر الشراكسة حراساً طبيعيين للامبراطورية البريطانية بمقاومتهم المجيدة ضد التوسع الروسي نحو الجنوب ومهما يكن بالأمر فإن الحقيقة التي لا جدال فيها هو أن الشراكسة (الأديكة) هم أنبل عرق في قفقاسيا .

نقل إلى أحد الروس حكاية مشهورة ومعروفة في سان بترسبورغ وهي :
«كان شاب شركسي وقع في أسر القوزاق ودخل في الجيش الروسي وتمكن بنجابته واندفاعه وذكائه من الوصول الى رتبة عالية ولم يكن لدى القيصر خادم أكثر اخلاصا منه .

أرسل في أحد الأيام الى قفقاسيا بمهمة رسمية وعندما رأى الشاب نهر الترك ثانية لم يعد يملك نفسه ، فتردد كثيراً من أجل الشرف العسكري والأوسمة الرفيعة وواجب الاطاعة ولكن عبثا ، وأخيراً أرسل كتاباً رقيقاً ومؤثراً الى القيصر يقول فيه بأن النهر ناداه وسوف يبقى في وطنه ويبسط فيه جدال روحه المخلصة مع جاذبية النهر الشركسي التي لا تقاوم (٢) .

ولكي يبين تأثير هذه الصفات العالية عند الشركسي حتى على أعدائه يقول الاستاذ تايا ندرية :

كتب أحد الكتاب الأذكياء العبارة التالية : عندما ترى الأهالي في شوارع سان بترسبورغ يتفرقون باحترام كن أميناً بأن هناك ضابطاً من الحرس الامبراطوري أوجندياً شركسياً (٣) .

وفيما يتعلق بالحرب بين الشراكسة والروس فهذه هي مطالعة الاستاذ تايا ندرية :

يبرر الروس فشلهم في حروب القفقاس بقولهم بأن أمامهم ثلاثة أعداء يصعب التغلب عليها : المناخ ، الجبل ، والشركسي . وأما وضعية القلاع المقامة

---

(٢) ج٢، ص ١٩٠
(٣) ج٢ ص ٤٢٥

على حدود شركسيا فهي بائسة جداً : يحاصر الشراكسة هذه القلاع من كل الجهات ، فلا يوجد نجم واحد أو كومة جشيش أو التواء أرض الا يخفي شركسياً باركاً أو نائماً وبندقيته على خده واصبعه على الزند متهيئاً لارسال رصاصته الى البعيد ، رصاصة لا تخطىء أبداً هدفها . (٤)

ثم يبحث تايا ندرية عن عدم وجود قيادة موحدة عند الشراكسة وعن أهمية اتحاد الشراكسة فيقول :

كتب كوبيفمر (Kupffer) رئيس البعثة العلمية التي كانت ترافق الجنرال عمانويل في غزوه الى شركسيا في التقرير الذي قدمه مايلي :

«استولى الرعب علينا وتأكدنا الخطر الذي سيهدد روسيا الجنوبية فيما لو إتحدت الشراكسة يوماً ما تحت قيادة رئيس واحد» (١)

مقالة
(الشعوب القفقاسية) نشرت في (مجلة العالمين)
باريز ، ١٥ نيسان ١٨٦١
للاستاذ ادمون دولوريه (Ed. Dulaurier)

كان الاستاذ دولوريه عالماً متخصصاً في المسائل القفقاسية وكتب مقالات عديدة عنها في الجرائد والمجلات مدة سنوات طويلة . ومقالاته عن الحروب الروسية ـ القفقاسية في مجلة العالمين (١٨٤٠ ـ ١٨٦٥) مشهورة . وفيما يلي بعض أقواله عن الشراكسة :

لو كان ممكناً أن تتجمع في شخص واحد شجاعة الجبلي التي لا تغلب ومدنية الرجل الراقي ، وعدم مبالاة الفلاح (Paysan) الغير مجهز بالعلم لكان بالامكان اعطاء فكرة صحيحة على وجه التقريب عن الطبع الشركسي ، يعني عن هذا الامتزاج مابين أنبل الشجاعات والوفاء بالعهد المقطوع وحسن المعاشرة ورقة الشعور

(٤) ج٢ ص ٤٢٥

(١) ج٢ ، ص ٤٢٥

في مناسبات الحياة الخصوصية والشدة في الحروب وقلة التجربة في تطبيق العقل على النظريات العلمية .

الشراكسة هم آريستوقراطيو ققفاسيا ومحاربوهم أشجع الشجعان لهم نخبة من الأبطال اللامعين احتفظت العنعنات القومية بأسمائهم وسجلت الأشعار مناقبهم وحروبهم ضد الروس ومن أمجد هؤلاء الأبطال هو الأمير محمد آش آتاظيقو ، الفارس الحقيقي والشاعر في الوقت ذاته ومعبود قومه الذي يعتبره مثالا للبطولة الشركسية . رأى محمد آش في احدى حروبه العديدة ضد الروس صديقه يديج مارياف أحد أمراء النوغاي الذي كان بجنبه فاقدا حصانه ينزل محمد آش فورا من حصانه ويدعو يديج لركوبه . ولكن النوغاي الذي لم يكن أقل كرماً منه يرفض الدعوة . عندئذ يقفز الشركسي على السرج ويقبض على صديقه من زناره وبحملة جبارة يقتحم صفوف القوزاق ويخترقها وبيده حمله الثقيل كأنه يفتش على الموت الذي كان يجابهه بشجاعة . وفي عام ١٨٤٦ يعتزم محمد آش على مهاجمة قلعة مدينة ستاوروبول في قلب البلاد الروسية وليس معه سوى (١٣) رفيقاً كلهم مصممين مثله . وتنتهي حياته الملآنة بالأعمال البطولية في هذه المغامرة . كان الروس قد علموا اقترابه وأخذوا الترتيبات لاحباطه فأحيط بجيش من القوزاق . وعندئذ يصلي صلاة قصيرة ويقتحم الدائرة الحديدية التي تحيطه من كل الجهات ويخترقها ولكنه يجد نفسه منعزلاً عن رفاقه فيعود اليهم ويحرضهم . ثم يخترق الدائرة مرة ثانية وهي مغلقة على رفاقه . ويهاجمها مرة أخرى فيصل الى رفاقه حيث يدوي صوته الرهيب من وراء الجدار الذي اقامته لهم حرابات القوزاق . وأخيراً يستشهد مع قطعته الصغيرة . عاد جريح واحد وأخبر بما جرى فقوبل باحتقار .

ألهم هذا الموت المهيب أغنية يغنيها الشعب بعشق وحماس يقول فيها الشاعر الشركسي : استشهد محمد آش نا ، فارس الله أمام جتقاله (استاوروبول) محاطاً من كل جانب بالأعداء وبموته المجيد أضاف نجماً إلى صفوف آريستوقراطيتنا اللامعة . (١)

---

(١) (Les Peuples montagnards) du caucase Revue des Deux Mondes Paris, 15 Avril- 1861 Par Ed. Dulaurier . ص ٩٦٥

كتاب
الروس والشراكسة
(شاعر القفقاس ميشل لرمونتوف)

إذا كان الكتاب الأجانب كتبوا الشيء الكثير عن الحروب القفقاسية - الروسية وعن الشعوب القفقاسية فإن كتاب الروس من جهتهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه هذه الحوادث الخطيرة التي أشغلت بال الحكومات الروسية المتعاقبة مدة قرن كامل (١٧٦٣ - ١٨٦٤) وبجانب كتاب الروس السياسيين والاستعماريين الذين كانوا يشجعون حكوماتهم على التعدي على حرية البلاد المجاورة ويبررون بشتى الوسائل والدعايات فشل حكوماتهم في حرب القفقاس ، ويظهرون الشعوب القفقاسية كمجموعة من قبائل متوحشة ترفض المدنية والحياة السعيدة تحت ظل القياصرة ، كان كتاب روسيون صميميون أصحاب ضمائر حية لا يوافقون على أعمال حكوماتهم العدوانية ويمتدحون دفاع القفقاسيين المجيد عن حرياتهم وأوطانهم ويعلنون للملأ خصائلهم الحميدة وبطولتهم المثالية . وفي مقدمة هؤلاء الكتاب المنصفين كان الأديبان الشهيران والشاعران العبقريان بوشكين ولرمونتوف .

كتب بوشكين روايته الشعرية المشهورة (أسير القفقاس) عندما كان في جيش القفقاس (الجيش الروسي المرسل الى قفقاسيا للاتسيلاء عليها) . موضوع الرواية : ضابط روسي يقع أسيراً في أيدي الشراكسة ، وفتاة شركسية تحبه وتتفانى في الدفاع عنه واعادة الحرية إليه . يصور بوشكين الطبيعة والجبال والحياة والعادات تصويراً رائعاً ويقول عن الشراكسة :

«يتحدثون في أوقات راحتهم وهم قاعدون أمام دورهم ، بينما القمر يخترق بأشعته غيوم الليل ، عن الأخطار الجسيمة التي جابهوها ، بشجاعة فائقة ، وعن صفات خيولهم الأصيلة ، وحلاوة حرياتهم الغالية وعن غزواتهم الجذابة ، وعن طرق نبلائهم الحربية الماهرة وضربات سيوفهم الرهيبة واصابات أسهمهم التي لا تغلط عن الأهداف ، وعن مناظر قراهم المحروقة البائسة ، وعن نعومة ودلال أسيرة ذات عيون سود» .

قتل بوشكين في عام ١٨٣٦ في المبارزة بعد عودته من قفقاسيا بمدة وجيزة وحصل هياج كبير في روسيا بسبب هذا الموت المفجع . وعلى الأثر يقوم ضابط شاب من الحرس الامبراطورى لايتجاوز عمره (٢٦) سنة ويثور على هذا الغدر. فيوجه كتابا شديد اللهجة الى القيصر يترجم فيه شعور الشعب الروسي المتألم تجاه هذا الحادث الأليم ، طالباً الانتقام من الغادر الافرنسي الأصل دانته ي D'anthés وهو عديل الشاعر المغدور ، الذي كان قد خان البلاد التي آوته والقريب الذي أكرمه . يكافىء القيصر الشاب الجريء الذي كان يسمى ميشل لرمونتوف بارساله الى جيش القفقاس .

كان الضابط لرمونتوف يبغض مجتمع بترو غراد ومدنيتها الكاذبة والنفاق المتأصل في سكانها . فوجد في قفقاسيا بيئة تتلاءم مع نفسيته وميداناً للتفكير بحرية وانفراد . وكان يعرف هذه البلاد من قبل وأحب جبال القازبك ووديان الترك وسهول القاباردا وهو صغير وعاد اليها الان ليحارب فرسان الشراكسة ومحاربي الشاشان واللزك تحت قيادة مريدي شامل .

أحب لرمونتوف القفقاس بجبالها ووديانها وسهولها وأحراجها وسيولها وأحب الشعوب القاطنة فيها والقوزاق الآتين اليها . ويبحث عن الكل بدون تمييز . لذلك سمي بحق شاعر القفقاس . وإذا كان لرمونتوف خصص اكثر مؤلفاته للشراكسة فانه لم يظهر عداءه لغيرهم . وعندما يمجد بطولة الشراكسة في الدفاع عن حرياتهم ووطنهم لا يذم القوزاق الذين جاؤ وا للاعتداء عليهم ، بل يوبخ السياسة والأطماع الدنيئة التي تبذر بذور الشقاق وتشعل نار الحرب فيما بين الشعوب . وعندما يمتدح نبالة الشراكسة وشعورهم الانساني العالي لا يؤ اخذ بعض الشعوب القفقاسية الأخرى على قساوة بعض عاداتهم القومية ويذكر بنزاهة دفاعهم المجيد عن حرياتهم الغالية .

يستقبل لرمونتوف القفقاس بهذه الكلمات :

«سلام عليك ياقفقاسيا ذات الجبين الأبيض . أنا لست غريباً عن أرضك الجذابة . فقد عودتني في صغري على منعزلاتك . ومنذ ذلك الحين كم من مرة

سرت أحلامي فوق سفوحك الجميلة مندهشاً برؤ ية الشرق الساحر ! اية ياأرض الجبال الحرة كم أنت متوحشة ولكنك كم أنت جميلة ! ايه قفقاسيا كم كنت أحب بناتك الجميلات المعصومات وطبائع أبنائك الحربية ! . . »

وبعد مكوث ثلاث سنوات في قفقاسيا يكتب مجلدا كبيرا من الأشعار عنها وخاصة عن الشراكسة يصور فيه الجبال الشاهقة والوديان الخصبة والأحراج الكثيفة وأصوات الأنهر والزوابع والحياة الانسانية ويأخذ موقعه كشاعر عبقري بجانب الشاعر الكبير بوشكين وفي عام ١٨٤١ أي بعد سنة واحدة من انتشار صيته يقتل كزميله بوشكين في المبارزة .

جمعت احدى مطابع سان بترو سبورغ أشعار لرمونتوف في أربعة مجلدات ، ترجمها في عام ١٨٤٤ العالم الألماني بودنستد (Bondensteds) وهو من أحسن العارفين بأمور قفقاسيا التي زارها عدة مرات وكان قد تعرف فيها بلرمونتوف .

وفيما يلي وصف الشراكسة للشاعر لرمونتوف :

«يولدون في الحرب ويكبرون لأجلها . فيدخل الطفل الحياة وهو يحارب وينهي الرجل حياته محاربا . ان الكلمة العليا هي) العدو ! الروسي . تغرس الأم بهذه الكلمة في قلب طفلها الخوف الجريء . وهكذا الولد أيضا ، الولد الضعيف لا يعرف الرأفة ، أمينة الصداقة وأمين أكثر منها الثأر . هناك لا تسيل نقطة دم بدون أن يؤ خذ ثأرها في الساعة المحددة . ولكن الحب مثل البغض هو أيضاً حب لا حد له» .

وفي شعره المسمى (الفار) يبحث عن استبسال الشراكسة في حروبهم ضد الروس :

شاب شركسي اسمه هرون يشترك في حرب ضروس ضد الروس يستشهد فيها جميع رفاقه وينجو وحده ، فيصل إلى قرية شركسية حيث يقيم صديقه سليم ويطرق باب داره فيفتح له . كان سليم مريضا على فراش الموت ، ووعندما يرى صديقه العائد من جبهة الحرب يسأله عن المعركة بتلهف واشتياق . فيقص هرون تفاصيل المعركة الهائلة التي استشهد فيها كل رفاقه وسالت دماؤ هم الطاهرة وكيفية

نجاته وحده ووصوله الى القرية بعد اقتحام الصعوبات الكثيرة . عندئذ يجلس سليم على فراشه متغلباً لحظة على مرضه الشديد ويصرح بوجه صديقه قائلاً : اخرج من هنا يا حقير ! لا محل ولا مأوى للجبان تحت هذا السقف فيغادر هرون البيت غير المضياف ناكس الرأس من العار والذل في ظلام الليل .

وفي روايته الشعرية المسماة (عطاياك الترك)* يمتدح دفاع الشراكسة المجيد عن حرياتهم ومقدساتهم وينتقد بلاده الروسية المعتدية فيقول :

ان الشراكسة يدافعون عن الحق والوطن ، فلماذا جاء الروس الى هذه البلاد ؟ ان هذه الأرض لسكانها الأصليين القاطنين فيها منذ أوائل البشرية . فان الجبال لهم والسهول أيضا .

ينبع نهر الترك من سفوح القازبك ويسيل بين الجبال ويزأر ويزيد مقتحماً الصخور كأن روح هذه الطبيعة كلها ترسل نداءات الحرب ضد العدو : الجيش الروسي . ثم يصل الى السهل فيسكن . وعند وصوله إلى بحر الخزر يقول للبحر :

«افتح صدرك الرحب لأمواجي ! وهاهي العطايا التي جلبتها لك . اقتطعت وأنا مار من ممر داريال قطاعا من الغرانيت لتتسلى بها أولادك» .

ولكن البحر يبقى هادئا ، وليست هذه الهدايا التي ينتظرها والنهر يردد : «خذ هدية أخرى لعلها تعجبك أكثر ، فهي جثة شاب شركسي من شباب قاباردیا الأبطال ، مات وهو يحارب الروس ان أسلحته غنية وذات قيمة عظيمة ، وطرزت على أطراف سترته آيات من القرآن .

انظر إليه ! نار البغض تلمع حتى الآن في عينيه» .

البحر لا يجاوب وهو بانتظار العطية التي يريدها . . وعندئذ يقول له الترك : «ستكون مسرورا في هذه المرة . هذه جثة امرأة قوزاق . كم هي جميلة !

---

* نهر في قباردیا .

وكيف يغطي شعرها الذهبي كتفيها المصفرين ! انظر الى هذه الفتحة الصغيرة في صدرها والدم الأحمر يخرج منها إلى الآن . ان القوزاق الغره به ني الذي كان يحبها لم يعد يبكيها ، فقد ركب حصانه وذهب مسرعا يرمي بنفسه ما بين الشراكسة فقتل» (١) البحر يتأمل وعندما تظهر جثة بيضاء محمولة على الأمواج القاتمة وهي جثة الامرأة الشابة يرتعش ويرسل أصوات الفرح فيفتح صدره الفسيح لأمواج الترك .

يصف لرمونتوف حب الشراكسة لموطنهم والرابطة القوية التي تربطهم بأرض جبالهم الجميلة وصفا رائعا في روايته المسماة (الشاب الشركسي) ، وفيما يلي موضوع هذه الرواية المشهورة :

أسر الروس في احدى حروبهم ولداً شركسياً من القوبان وسلم الى رهبان احد الأديرة ، فيوجه اليه العنايات الأبوية ويتفانى في تربيته راهب عجوز . ولكن الولد يحتفظ دائماً بذكرى الصور الأولية التي صادفت عيناه والتي كانت تتجسم كلما كبر فيصبح الشيء الذي لم يكن في بادىء الأمر إلا شعوراً حقيقة واقعة فيما بعد .

وأخيراً يتغلب دمه وعرقه على البيئة والتعليم . وفي يوم من الأيام بينما كان يتسمع بسكون الى ارشادات ونصائح الراهب العجوز الذي كان يكلفه بالانخراط في الجيش الروسي يسمع أصوات الجبال تناديه . وفي المساء يفر من الدير كالأسد المحطم قيوده . هل بامكانه أن يجد قبيلته في الجبل الفسيح . انه ضعيف وبدون سلاح وبدون تمرين أيضا بسبب الحياة الراكدة التي عاشها ، وأراد أن يقوم بعمل فوق طاقته . كم يتحمل من مشقة التعب وبرد الليل . وأذى الأفاعي والحيوانات المفترسة .

وبعد أيام طويلة يعثر عليه في وادي وهو على آخر رمق من الحياة فيحمل الى الدير هناك قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة يقص مغامرته المؤثرة الرهيبة وهو محتفظ دائماً

---

(١) القوزاق أنواع : منهم القوزاق البحر الأسود ، وقوزاق القوبان ، وقوزاق الدون وقوزاق الغربه بنتس . وأشهر القوزاق وأقدمهم هم القوزاق الغرب بنتس . فهم يقطنون شمال شرقي قاباردیا . وكانوا قد قلدوا الشراكسة قبل غيرهم في زيهم وعاداتهم وأصول حروبهم وهم الذين نشروا ما بين القوزاق الزي الشركسي (تشركاسكا) والألعاب الفروسية الشركسية (جيكيتوفكا) .

بكرامته وعزة نفسه التي لا تقهر .

ان هذه القصة من أروع القصص مهابة وشعوراً .

وفي روايته المسماة (اسماعيل بك) يصور لرمونتوف بصورة فائقة حياة الشراكسة وعاداتهم وحروبهم مظهراً نبالة طباعهم ورقة شعورهم .

وأما موضوع الرواية فهو مايلي :

رئيس شركسي شاب يضطر إلى ترك قبيلته بسبب ثورة داخلية لأجل الرئاسة . ويلتجىء عند أحد رؤساء اللزك في الداغستان . سارة الجميلة بنت رئيس اللزك تحب وتعشق الضيف النبيل . ولكن أخبار الحرب واقتراب الجيش الروسي الى مسقط رأس اسماعيل بك يجبر هذا الأخير للعودة . سارة تريد أن تمنع عودة اسماعيل بك إلى قبيلته وترجوه بأن يبقى عند أبيها . ولكن الضيف النبيل يتخطر الأغنية الجركسية القائلة : (اذا كنت تفكر بالخطبة لتكن خطيبتك السيف ، وإذا كان لديك مهر فاشتري به حصاناً !) فيعود إلى وطنه المهدد للقيام بواجبه نحوه . وبعد قليل تلحقه سارة وهي بهيئة فارس شركسي كامل السلاح بقصد المحافظة على حياة اسماعيل بك . فيرفض اسماعيل بك ، خدمة سارة ويتظاهر بعدم المبالاة اليها . ولكن العاشقة لا تصغي الى كلامه وتبقى قريبة منه حاضرة لكل مفاجأة وتشترك في صفوف الشراكسة بالحروب ضد الروس .

كتب لرمونتوف أشعاراً أخرى كثيرة عن الشركس ورواية عن الداغستان تحت عنوان (حاجي ابرق) . فهي قصة خطف فتاة وانتقام في منطقة (جه مات) من الداغستان وكتب أيضاً روايات أخرى متعددة مثل (الشيطان) عن الكرج و (أغنية القيصر فاسيلويج) و (بطل زماننا) عن الروس .

انتهى

مصدر يوضح الطرق التي سلكها الشركس خلال هجرتهم
يمكن تقسيم الهجرة الى ثلاث موجات :

ـ الموجة الأولى : بدأت في عام ١٨٥٠ م واستمرت حتى عام ١٨٥٦ ولا يعرف عدد الذين هاجروا خلال هذه الفترة .

ـ الموجة الثانية : بدأت في عام ١٨٦٢ وبلغت الذروة في عام ١٨٦٤ واستمرت حتى عام ١٨٧٠ م . ويقدر عدد المهاجرين خلال هذه الفترة بمليوني نسمة . هاجر القسم الأعظم منهم عن طريق البحر والباقون عن طريق البر . وتؤكد المصادر الأوروبية والتركية أن ما يزيد عن مليون شخص من هؤلاء وصلوا أحياء إلى البلقان والاناضور .

ـ الموجة الثالثة : بدأت بعد عام ١٨٧٠م واستمرت منقطعة حتى عام ١٩٠٦م . ولا توجد معلومات دقيقة عن عدد الذين هاجروا خلال هذه الفترة ولأسباب اخرى ، هاجر عدد قليل من الشركس خلال الحرب الأهلية وبعد الحرب العالمية الثانية .

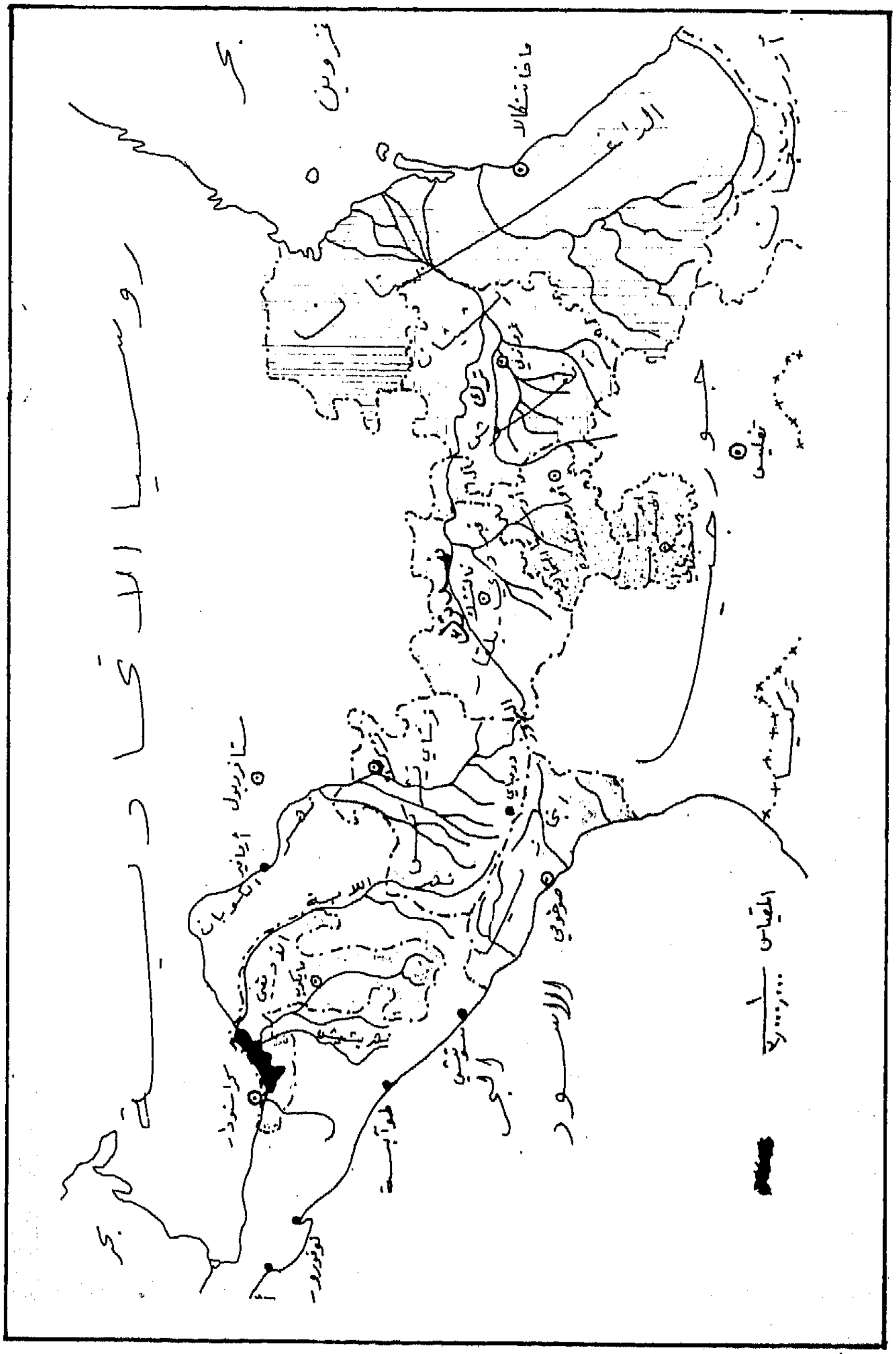

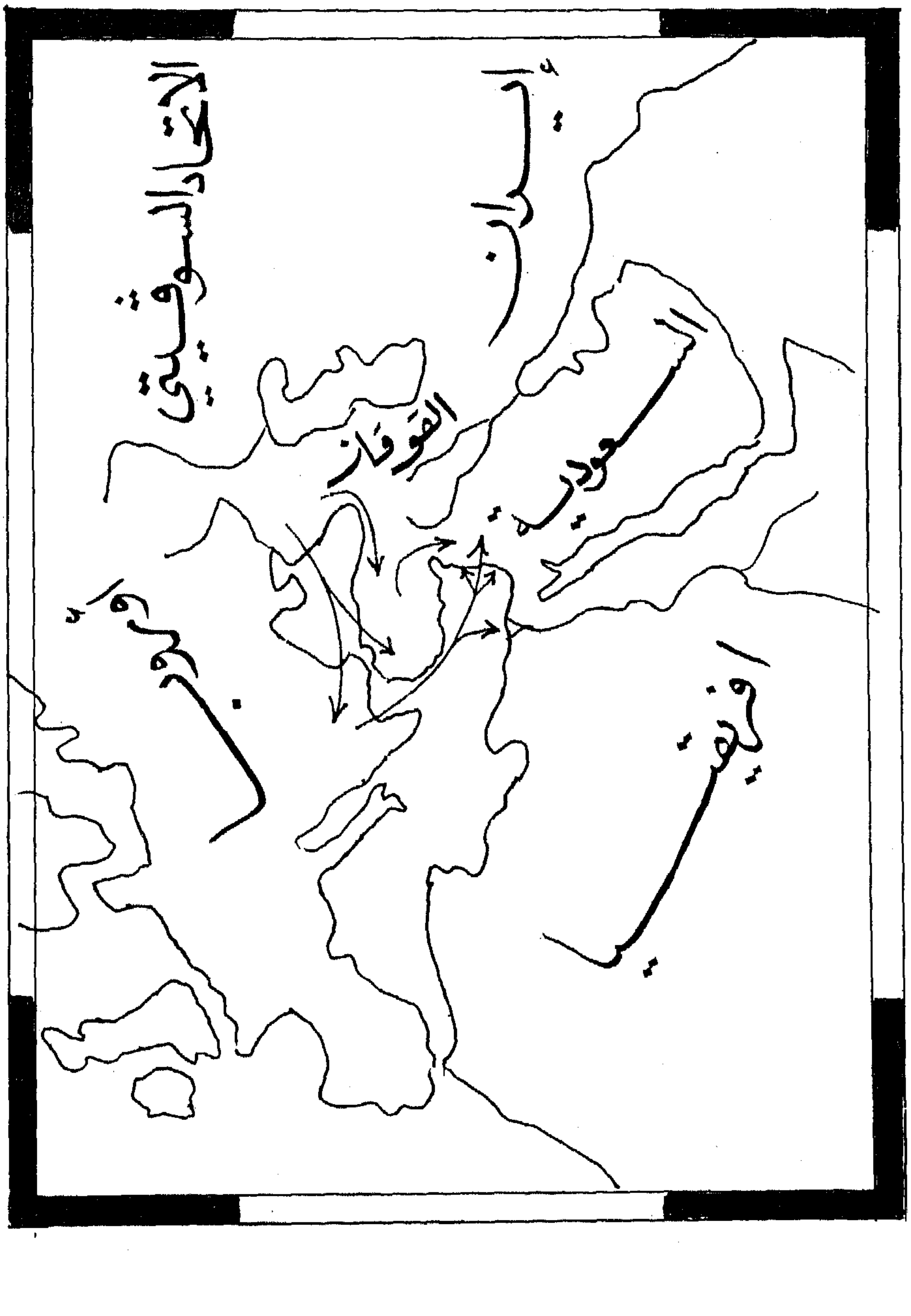
الاتحاد السوفيتي
ايران
القوقاز
السعودية
اوروبا
افريقيا

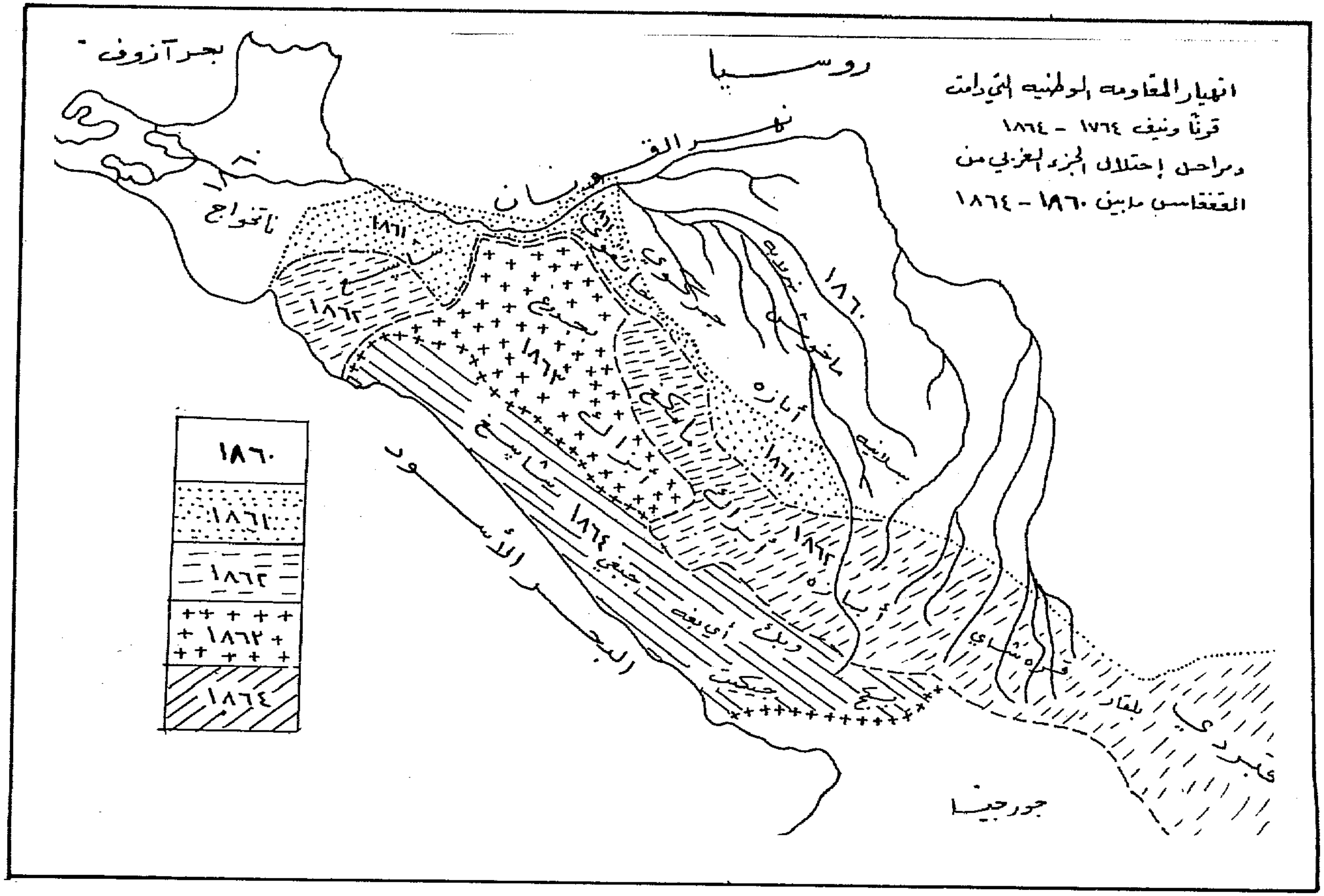
انهيار المقاومة الوطنية التي دامت
قرناً ونيف ١٧٦٤ - ١٨٦٤
ومراحل إحتلال الجزء الغربي من
القفقاس مابين ١٨٦٠ - ١٨٦٤
بحر آزوف
روسيا
نهر القوبان
ناتخواج
البحر الأسود
جورجيا
١٨٦٠
١٨٦١
١٨٦٢
١٨٦٣
١٨٦٤

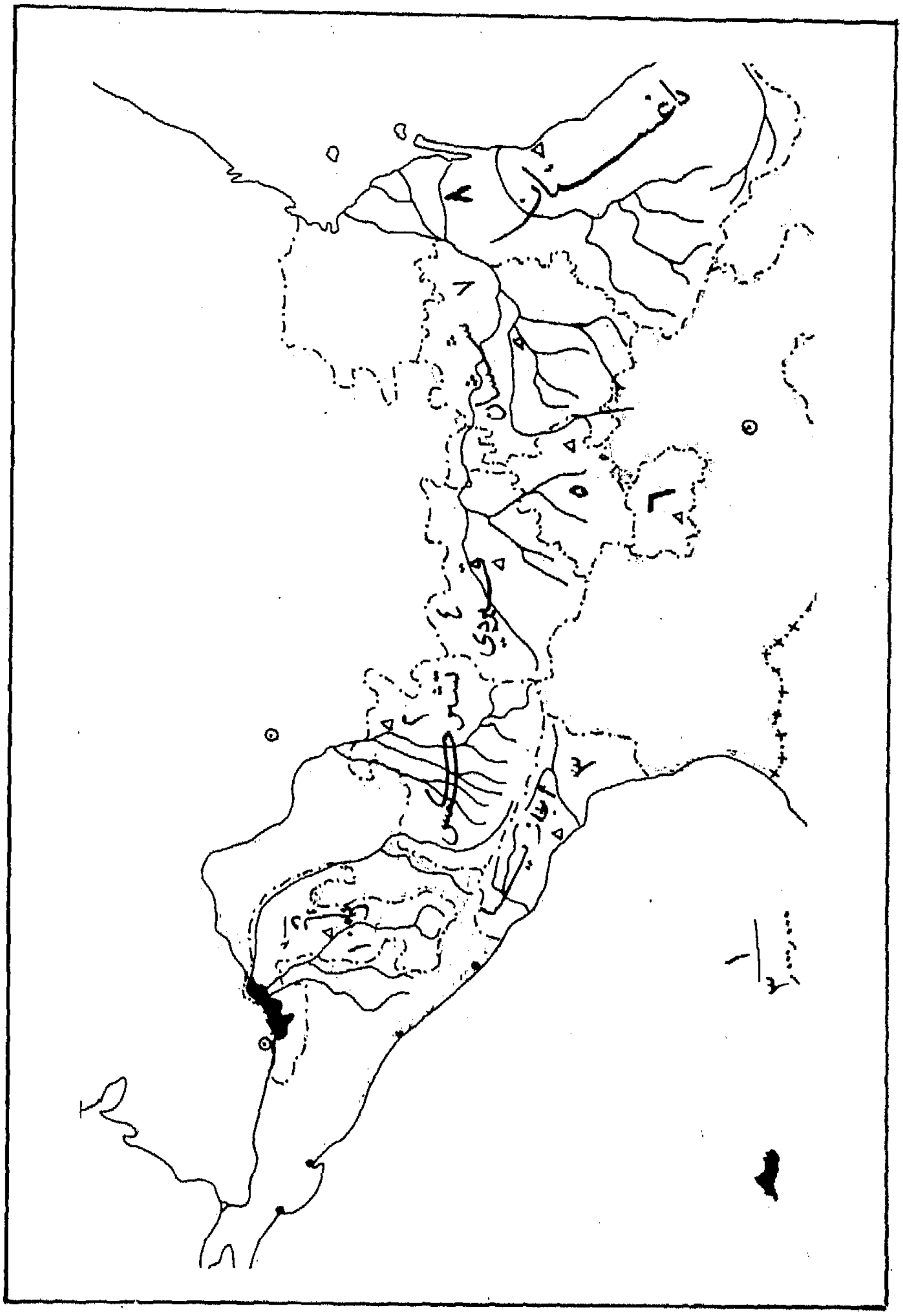

المحتوى

	الصفحة
كلمة لا بد منها	٧
مقدمة المؤلف	١٣
قفقاسيا والعالم القديم	
القفقاسيون والاوربيون القدماء	١٨
القفقاسيون والساميون	٢٥
الفصل الاول : نبذة جغرافية	٣١
الفصل الثاني : نظرة عامة على تاريخ قفقاسيا	٣٣
الفصل الثالث : شعوب قفقاسيا	٣٤
الفصل الرابع : اللغات القفقاسية	٣٥
الفصل الخامس : العرق القفقاسي	٣٦
الفصل الاول : موقع شركسيا وحدودها	٣٩
الفصل الثاني : المناطق الطبيعية	٤١
الفصل الثالث : الاحوال الطبيعية	٤٧
الفصل الاول : الأديغة	٤٨
الشراكسة في حروبهم ضد القياصرة	٦٣
مقدمة	٦٥
استيلاء الروس على قفقاسيا	٦٦
كتاب سياحة في الحكومات الجنوبية للامبراطورية الروسيه في سنتي ١٧٩٣ و ١٧٩٤	٦٨
كتاب الروس والشراكسة	٧٨

هـــذا الكتـــاب

● هذه بعض الفصـول من مؤلف كتبه المرحوم أمين سمكوغ قبل وفاته عام ١٩٥١ ويتحدث عن تاريخ الشراكسه .

● كان المؤلف موجـوداً في مدينـة القنيطرة مع صوره ورسومه الجاهزة أثناء العـدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧ وفقـد عندما سلبت القـوات الصـهيونية المدينـة وهدمتهـا قبـل تحريرهـا على يد قواتنـا المسلحة الباسلة .

● إن هذه الصفحـات القليلـة الباقية بين أيدينا تلقي الضوء وتطرح كثيراً من الأسئلة وتشير إلى جوانـب هامـة لم يتطرق إليها البحث التاريخي ولم يوليهـا الاهتمام الـكافي ولعـل في هذا ما يدفـع المهتمين إلى زيادة البحث والمترجمين إلى ترجمة بعض المؤلفات والمراجع الغنية التي يشير إليها هذا الكتاب .

40

تصميم الغلاف الفنان
مصباح البيباني